نسخة
مختصرة

أيتها النساء، سامحننا!



الرجل والمرأة في الزواج
والكنيسة
موجز. مقنع. مفيد.
HANS-JÖRG RONSDORF

أيتها النساء، سامحننا!

نسخة مختصرة

الرجل والمرأة في الزواج والكنيسة

موجز. مقنع. مفيد.

Hans-Jörg Ronsdorf

يمكن طلب النسخة الورقية من الطبعة الألمانية عبر www.hans-joerg-ronsdorf.de
بسعر 3,80 € مضافًا إليه أجرة البريد.
والطبعة الألمانية متوفّرة أيضًا كتابًا إلكترونيًا على Kindle.
الطبعة الرابعة، نوفمبر/تشرين الثاني 2026 (الطبعة الألمانية)
مترجم عن الألمانية، 2026 – تحميل مجاني على www.hans-joerg-ronsdorf.de
© Hans-Jörg Ronsdorf – جميع الحقوق محفوظة.

Albis 6½, 87477 Sulzberg
التنضيد: Hans-Jörg Ronsdorf
للتواصل بالبريد الإلكتروني: hj-ronsdorf@t-online.de
ISBN الطبعة الألمانية: 978-3-9820715-5-6
تصميم الغلاف: توبياس شتريكر (Tobias Stricker)
التدقيق اللغوي للطبعة الألمانية: غابرييله زينغر (Gabriele Singer)
الطباعة: www.wir-machen-druck.de
ترجمة الكتاب المقدس المستعملة في الطبعة الألمانية، ما لم يُذكر غير ذلك:
Elberfelder Übersetzung، Edition CSV، Hückeswagen www.csv-bibel.de (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)
وفي هذه الترجمة العربية تُقتبس الآيات القصيرة من ترجمة فاندايك؛ أما المقاطع التي يستشهد فيها المؤلف بنصّ ترجمة ألمانية بعينها، فهي مترجَمة عن الألمانية.

المحتويات

1 مقدّمة – لماذا كتاب آخر؟ **6**

2 أساسنا – إلى ماذا نستند؟ **8**

3 العودة إلى البداية – ما أراده الله **10**

4 نظام الخليقة – إن وُجد، فأيّ نظام؟ **13**

5 ما سيأتي – لكن الله لم يُرِده قطّ **15**

6 يسوع المسيح والنساء **20**
6.1 السامرية عند بئر يعقوب **20**
6.2 عند قدمي يسوع – مرثا ومريم **21**
6.3 مريم المجدلية، رسولة الرسل **22**

7 الكنيسة العروس وخدمة النساء **23**
7.1 بولس ومعاوناته **23**
7.1.1 فيبي – شمّاسة وقائدة وحاملة الرسالة 24
7.1.2 زوجان قدوة: بريسكا وأكيلا 24
7.1.3 يونيا – الرسولة المشهورة 25

8 هل هناك وصية صمت للأخوات؟ **26**
8.1 تقييم النبوّات **27**
8.2 الآيتان 34 و35 اقتباس؟ **28**
8.3 الآيتان 34 و35 إضافة لاحقة؟ **28**

9 هل هناك منع للأخوات من التعليم؟ **31**

10 الكهنوت العامّ **36**

11 هل يجوز للأخوات أن يكنّ شيخات؟ **38**

12 غطاء الرأس – أما زال اليوم؟ **41**

13 الرجل رأسًا – خضوع من طرف واحد؟ **46**

14 ليس ذكر وأنثى **49**

15 اعترافنا بذنبنا **52**

16 في الختام **54**

17 كتب أخرى للمؤلّف 58

1 مقدّمة – لماذا كتاب آخر؟

في نوفمبر/تشرين الثاني 2020 صدر كتابي «Frauen, vergebt uns!» (أيتها النساء، سامحوننا!). وكما كان متوقّعًا، لم يكن بدّ من سوء الفهم، بل ومن الاستنكار أيضًا، إذ شعر إخوة أمناء للكتاب المقدس أن هذا العنوان قد أخذهم رهائن على نحو ما. لماذا يطلبون الغفران، ما دامت نظرتهم إلى المرأة توافق الكتاب المقدس؟

لا يزال الأمر يدور حول موقفين متعارضين – انظروا أيضًا المقارنة في الجدول أدناه.

الموقف الأول يتمسّك بسلطة الرجل بوصفه رأسًا على المرأة. ويقول إن هذا هو نظام الخليقة منذ ما قبل السقوط. لذلك تخضع الزوجة لزوجها، وتصمت في العبادة، ولا تعلّم الرجال ولا تقودهم داخل الكنيسة وخارجها.

والموقف المقابل يرى منذ بداية الخليقة شراكة في المساواة والتكامل المتبادل – من غير فارق في المرتبة. فالخضوع المتبادل يطبع العلاقة بينهما. وفي الكنيسة تخدم الأخوات في كل المجالات كما يخدم الإخوة تمامًا.

كلا الموقفين يستند إلى الكتاب المقدس. لكن هاتين النظرتين إلى العالم لا تجتمعان، وهذا ما انتهيت إليه بعد دراسة كتب كثيرة، والاستماع إلى محاضرات، ونقاشات عديدة. وإلى الله المشتكى! نحن أمام مسألة لاهوتية خلافية صعبة، تفرّق الكنائس للأسف. وكنت أتمنّى أن يجري الخلاف فيها بانفتاح أكبر، وموضوعية أكبر، وسلام أكبر.

في هذا الكتاب الصغير أؤيّد الموقف الثاني وأشرحه. أما الموقف الأول فقد دافعت عنه وعلّمته حتى بلغت الرابعة والخمسين من عمري. ودراسة الكتاب المقدس أجبرتني على الانتقال إلى الموقف الثاني. وقد كتبت في ذلك كتابًا مفصّلًا. وكان هذا الكتاب لأخوات كثيرات تحريرًا طالما اشتقن إليه، عن وعي أو من غير وعي، وراحة نفسية. وبعض الردود أبكتني من الفرح، ومن الحزن أيضًا. فأمور كثيرة في هذا الموضوع لا تزال في حال سيّئة. والمسؤولون عن ذلك إخوة يظنّون أنهم يفهمون الكتاب المقدس فهمًا صحيحًا. وانطلاقًا من فهمهم هذا يمنعون النساء من الكلام في العبادة، ومن التعليم، ومن مهامّ القيادة. وأخوات كثيرات لا يستطعن أن يفهمن ذلك ولا أن يستوعبنه. كثيرات يتألّمن بسببه، لكنهن يصمتن عنه.

وقد بلغ كتابي الآن قدرًا من الانتشار، لكن إخوة يرفضون أن يقرؤوه. يقولون إنه معقّد جدًا، وطويل جدًا، ومنحاز جدًا، ومتحامل جدًا، ونسوي جدًا. لذلك هذا الكتاب القصير والبسيط مرة أخرى. وأحيلكم إلى موقعي الإلكتروني لمزيد من المواد الواسعة: **www.hans-joerg-ronsdorf.de**.

ومع أنني مقتنع أمام الله بأنني أفعل الصواب، يمكن أن أخطئ. لكنني ملتزم بالمسيح وبكلمته. وأنا أيضًا مرتبط بضميري. فالأمر لا يتعلّق بمسألة خلافية لاهوتية بحتة أو مجرّدة، بل يتعلّق بنصف جسد المسيح، بأناس وبحياتهم!

Hans-Jörg Ronsdorf، زولتسبرغ، نوفمبر/تشرين الثاني 2026

النظرة الهرمية إلى الرجل والمرأة: خضوع، سلطة، رأس: قائمة على المرتبة	تكامل متبادل بلا هرمية: غلاطية 3: 28 – كلّكم واحد في المسيح! – قائم على المواهب
هرمية نظام الخليقة: الرجل فوق المرأة، متساويان في القيمة، لكن غير متساويين في الحقوق.	خُلقا ندّين، كلاهما حامل لصورة الله، يكمّل أحدهما الآخر، على قدم المساواة، متساويان في المكانة.
التكوين 3: 16 «وهو يسود عليك» يُفهم وصيةً / أمرًا، لا عاقبةً سلبية للسقوط.	التكوين 3: 16 يصف العواقب المحزنة للسقوط، التي لم يُرِدها الله، والتي جرت للأسف هكذا في التاريخ.
حواء خُدعت، لذلك لا يجوز للنساء أن يعلّمن.	آدم خطئ عن عمد، وحواء أُغويت. ومنع التعليم لا يتعلّق بالجنس، بل بما إذا كان التعليم يوافق الإنجيل أم لا.
المرأة تصمت في الكنيسة. وهي تلزم الهدوء في بيتها أيضًا أمام زوجها حين يتعلّق الأمر بالتعليم.	الرجال والنساء يتنبّأون معًا، كما حدث يوم الخمسين. يوئيل 2: 28-29؛ أعمال الرسل 2: 17
كون الرجل رأسًا يعني سلطته.	الرأس والجسد يؤكّدان الوحدة والاعتماد المتبادل.
لا يجوز أن يكون للنساء سلطة على الرجل.	خضوع متبادل، وملكية متبادلة وسلطة متبادلة، 1 كورنثوس 7: 4
الرجال وحدهم يجوز لهم أن يقودوا وأن يكونوا شيوخًا وشمامسة.	المواهب الروحية غير مرتبطة بالجنس.
غلاطية 3: 28 «ليس ذكر وأنثى ... لأنكم جميعًا واحد في المسيح» يعني فقط مساواة روحية في الخلاص، لكنها لا تلغي نظام الخليقة.	غلاطية 3: 28 وصف للخليقة الجديدة في المسيح، الحاضرة منذ الآن في الكنيسة. وهناك بالذات تزول كل الفوارق الاجتماعية والطبقية والجنسية زوالًا تامًّا.

2 أساسنا – إلى ماذا نستند؟

المرجع الحاسم، بل المعيار لكل عمل مسيحي، هو الكتاب المقدس وحده، وسيبقى كذلك. كما هو بين أيدينا اليوم. إنه مصدرنا الوحيد والموثوق. وبه يُمتحن كل شيء. والتقاليد أيضًا. سواء أكانت قديمة جدًا أم أحدث عهدًا. وكثيرًا ما يُساوى بين الحقّ الكتابي – أو بالأحرى: كما نفهمه نحن – وبين التقليد المسيحي. فقد تقوم التقاليد على فهم خاطئ للكتاب. ومثلها في التضليل التكيّف مع روح العصر. وعندئذ تتراكم مع الوقت قناعات وممارسات وتترسّخ، وهي قد تجاوزها الزمن، لأنها تعكس ثقافة قرون مضت، أو عقود فحسب.

فتصير عائقًا أمام الإنجيل.

ويقال، مع شيء من المبالغة: بالكتاب المقدس يمكن إثبات كل شيء. وهذا تحدٍّ لنا فعلًا، لأن هذا القول صحيح. كم من آراء متناقضة لدى المسيحيين، كلها تُعلَّل بالكتاب المقدس تعليلًا جيدًا قليلًا أو كثيرًا! وليس في الكتاب المقدس موضوع إلا وله تفسيران على الأقل أو أكثر.

هناك قواعد أو مبادئ ينبغي مراعاتها عند قراءة الكتاب المقدس وعند تطبيقه على حياتنا الشخصية أو على حياة الكنيسة. أذكر بعضها مما له أهمية لموضوعنا ولأي موضوع آخر.

إلى من يتكلّم النصّ؟ فالتعليمات في العهد القديم، مثلًا للكهنة، لن تكون سارية بعد على حياة الكنيسة اليوم. ويسمّى هذا «التفسير بحسب تاريخ الخلاص». فيراعي المرء في أي زمن ولأي زمن تسري الأقوال. هل هي موجّهة إلى أمة إسرائيل أم إلى كنيسة العهد الجديد؟

هل التعليمة الخاصة بحياة الكنيسة واضحة وجليّة، وهل ترد مرات عدّة؟ عندئذ يمكن الحديث عن توجيه معياري يتجاوز الزمن. وعلى العكس من ذلك لا ينبغي أن نجعل النصوص الصعبة معاييرَ ملزِمة للجميع، ولا سيّما إذا كانت رسالتها الأساسية لا ترد إلا مرة واحدة في العهد الجديد، ولم يتّفق عليها كثير من اللاهوتيين والمفسّرين الأمناء للكتاب.

سياق النصّ حاسم. فالأقوال المنتزعة من سياقها بالذات يمكن أن تؤيّد كل شيء وأي تعليم. وفي نهاية الأمر نحن نتّبع هذه القاعدة أيضًا مع سائر ما نقرأ من أدب. ولا يُقصد بذلك السياق المباشر وحده، بل في النهاية سياق الكتاب المقدس كله. والسؤال هو: هل ينسجم التفسير أيضًا مع الصورة الكتابية الكاملة؟

ويُحسب كذلك **السياق التاريخي والخلفيات** المتعلّقة بالزمان والمكان اللذين كُتب فيهما النصّ. يمكن أن يقرأ المرء الكتاب المقدس من غير هذه المعرفة أيضًا. ولا يفقد بذلك شيئًا من قوّته الإلهية الفاعلة. لكن معرفة الخلفيات التاريخية مفيدة دائمًا. فكل الرسائل تقريبًا في العهد الجديد كُتبت بسبب مناسبة ملحّة إلى الكنيسة المعنيّة. ونحن نحاول أن نعيد بناء تلك المناسبة.

وأحيانًا يكون مهمًّا **ما تعنيه الكلمة في اللغة الأصلية**. فالعبرية واليونانية اللتان كُتب بهما الكتاب المقدس لم تعودا لغتين محكيّتين اليوم، ونحن نتكلّم لغة مختلفة تمامًا. والترجمة الدقيقة مهمة. لكنها أيضًا تفسير إلى حدّ ما دائمًا. وبحسب ما يراه المترجم في هذا الأمر أو ذاك، ستتأثّر ترجمته. وعلى ذلك أمثلة كافية.

وأخيرًا في هذا الموضع أنبّه إلى أن بعض الأمور يجب أن تُفهم **حرفيًا أو بمعناها الظاهر**، وبعضها الآخر **مجازيًا أو على سبيل التشبيه**. وربما يصحّ هذا جزئيًا أيضًا على رواية الخليقة.

3 العودة إلى البداية – ما أراده الله

من أين نبدأ إن أردنا أن نفهم كون الإنسان رجلًا وكونه امرأة، وعلاقة كلّ منهما بالآخر؟ بالطبع: نذهب إلى قصة الخليقة. فهي تقدّم لنا أهمّ المادة. وفي العهد الجديد بولس هو الذي يرجع مرات عدّة إلى هذه البداية، حين ينتقد مفاسد مقلقة في كورنثوس وأفسس ويصحّحها. فهو يطبّق رواية الخليقة تارة تطبيقًا عامًّا، وتارة تطبيقًا خاصًّا أيضًا. **لا يكفي أن نفسّر رواية الخليقة هذه بكلمات بولس وحدها.** بل علينا نحن أيضًا أن نذهب أولًا إلى جنّة عدن، وأن نتأمّل ما جرى هناك وكيف جرى. وسنعود إلى بولس لاحقًا.

لنذهب إلى بداية تاريخ البشرية. أورد النصّ بحسب ترجمة Elberfelder (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس):

> التكوين 1: 26-28 [مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا، كشبهنا؛ وليتسلّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى كل الدبّابات التي تدبّ على الأرض! فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه؛ ذكرًا وأنثى خلقهم. وباركهم الله، وقال لهم الله: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها؛ وتسلّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل الحيوانات التي تدبّ على الأرض!

في اليوم السادس من الخليقة، بعد أن خُلقت الحيوانات أولًا، يظهر الإنسان على المسرح. الإنسان رجلًا وامرأة. في نَفَس واحد يُذكر الجنسان كلاهما. وكلاهما، كلّ بمفرده وكلاهما معًا، حامل لصورة الله. من غير فرق. من غير ترتيب في الرتب. من غير هرمية. وكلاهما معًا مدعوّ إلى أن يتسلّط على الخليقة. وهذا يعني أن يرعياها بعناية ويحمياها. ولهذا يحتاج الأمر إلى الجنسين كليهما.

في اليوم السادس كان العالم ما زال على ما يرام، وكما ينبغي أن يكون.

وهناك رواية ثانية تقرّب الصورة الآن إلى حدث خلق الإنسان. وهذه النصوص القديمة جدًا من العهد القديم، الكتاب المقدس العبري، غامضة فعلًا، وربما ليست سهلة الفهم لنا اليوم. وهنا أيضًا يُطرح السؤال: ما المقصود حرفيًا، وما المقصود مجازيًا؟ وتبقى لنا نحن أبناء اليوم أسئلة مفتوحة. وربما كنّا سنكتب الرواية بطريقة مختلفة أو

بتفصيل أكبر. حسنًا، علينا أن نقنع بما بين أيدينا. وكل شيء في جوهره مفهوم لنا ومتماسك، وعميق أيضًا. والله وحده يستطيع أن يكشف لنا هذه الأحداث. ومع أن إنسانين كانا حاضرين، فلم يكونا هما من دوّنها، بل موسى فيما بعد.

ومن الرواية التالية يتّضح أن آدم خُلق أولًا:

> التكوين 2: 18-20 [مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] وقال الرب الإله: ليس جيدًا أن يكون الإنسان وحده؛ أصنع له معينًا نظيره. وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرّية وكل طيور السماء، وأحضرها إلى الإنسان ليرى ماذا يدعوها؛ وكل ما دعا به الإنسان ذا نفس حيّة فهو اسمه. فدعا الإنسان بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرّية. وأما لآدم فلم يجد معينًا نظيره.

آدم وحده. والخالق يوضّح أن لا أحد من الحيوانات نظيره. في هذه اللحظة لا يحتاج آدم إلى حيوان نافع، ولا إلى كلب صديق وفيّ. لا، إنه يحتاج إلى من يكون نظيره. صديق في الروح وفي القلب. شريك يقف قبالته. ألم يكن الله يستطيع إذن أن يخلق آدم ثانيًا لينهي العزلة والوحدة؟ لكن ما ينقصه ليس آدم ثانيًا. ينقصه معين. معين نظيره. إنسان إذن. بالقوة نفسها. لا ينقصه خادم أو مساعد. فهذا أيضًا يمكن أن يعين. لكنه لن يكون نظيره. سيكون تابعًا له. المقصود هو أن يجد شريكًا يقف قبالته، إنسانًا مثله. شخصية بالقوة نفسها. يستطيع أن يصير معها وحدة واحدة. نظيرًا مقابلًا، وتكملة لكل جانب من جوانب وجوده.

لم يُخلق آدم أولًا لأنه كان يجب أن يكون الرأس أو القائد. لا، بل خُلق أولًا ليختبر الوحدة ويشعر بها. إنها تهيئته للقاء المعين الذي هو نظيره وللعيش معه.

والنصّ التالي، الذي يصف خلق المرأة، غامض، لكنه أيضًا بليغ الدلالة:

> التكوين 2: 21-22 [مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] فأوقع الرب الإله سُباتًا عميقًا على الإنسان فرقد (entschlief). فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحمًا؛ وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من الإنسان امرأة، وأحضرها إلى الإنسان.

من جنب آدم النائم يكوّن الله المرأة الأولى. ملاحظة عن الترجمة: الكلمة الألمانية entschlief تعني أيضًا «رقد رقاد الموت»؛ لكن آدم لم يرقد بهذا المعنى، وإلا لكان قد مات. وليس المقصود أيضًا ضلعًا، بل جنب جسده.

ماذا نتعلّم من هذه الكلمات القليلة؟ المرأة أُخذت من الرجل، ولم تُجبل من الأرض. لكي تكون نظيره. أُخذت من جنبه، لكي تعود بوصفها امرأة – بلغة الصورة – فتغلق هذا الجنب من جديد. من جنبه أُخذت لتعيش إلى جنبه. لا تحته، ولا فوقه. تكملة تجعل آدم كاملًا، وهي بلا شكّ – أقول ذلك من خبرة الحياة – تجعلها هي أيضًا كاملة. معين ندّ في طور التكوين. سيصير الأمر أمرَ قلب، علاقة حبّ – من جنبه وُلدت.

لم يُخلق آدم وحواء في وقت واحد، لأنه لو كان الأمر كذلك لما أمكن أن يكون للاعتماد المتبادل وللوحدة ولصيرورتهما جسدًا واحدًا هذا المعنى وهذا العمق.

كم كنت أودّ أن أكون حاضرًا في تلك اللحظات، حين يُحضر الله المرأة إلى الرجل، كالعروس إلى العريس:

> التكوين 2: 23-25 [مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] فقال الإنسان: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي؛ هذه تُدعى امرأة لأنها من امرءٍ أُخذت. لذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلتصق بامرأته، ويكونان جسدًا واحدًا. وكانا كلاهما عريانين، الإنسان وامرأته، وهما لا يخجلان.

آدم مأخوذ بهذا الشخص. يصيح: أخيرًا واحدة مثلي! هي مساوية له، لكنها النسخة الأنثوية منه، «امرأة» من «امرئ» (بالألمانية Männin). إنه مفتون إلى حدّ أن الرجال سيتركون بيوتهم في المستقبل ليلتصقوا بنسائهم. لا العكس. هنا يأتي الرجال إلى النساء. ليصيروا جسدًا واحدًا. ليصيروا وحدة خاصة بهما وحدهما، روحًا ونفسًا وجسدًا. شركة قلوب. شركة زواج في عهد زواج. صديقًا حميمًا وصديقة حميمة. في شراكة متساوية القيمة. مثل هذه الشركة في الوحدة لا تقوم إلا بين شخصين متساويين في القيمة وفي المرتبة.

وهذا ما يدركه آدم من النظرة الأولى. تلك التي تقف أمامه تلقاه على قدم المساواة. ربما لا من حيث طول القامة، لكن بالتأكيد من حيث كيانها بوصفها شخصًا. وهما لا يعرفان نفسيهما حقّ المعرفة إلا حين يتعرّف كلّ منهما إلى الآخر.

يلتقي الاثنان في حال لم تتدنّس بعد، قبل السقوط. وعُريهما من غير خجل هو ما لم يعد موجودًا اليوم على هذا النحو. كم دام هذا الزمن، وكم سُمح لهما بالتمتّع به، لا نعرف. وأظنّ أنه كان زمنًا طويلًا بالفعل.

4 نظام الخليقة – إن وُجد، فأيّ نظام؟

هذا هو الوقت المناسب للنظر عن كثب في مفهوم نظام الخليقة. وفي هذا الموضع بالذات: في الفردوس. حيث لم تكن الخطية قد وقعت بعد، وحيث ما زال يمكن إدراك خطة الله وقصده في الرجل والمرأة.

كثير من الأخوات والإخوة يستعملون هذا المفهوم كأنه يقول ما يلي: آدم خُلق أولًا، ولذلك هو في دور القيادة. ومعه المسؤولية الأكبر. وحواء خُلقت معينًا له، لتكون في خدمته. ومن ذلك يُستنتج أن المرأة تخضع للرجل. في كل شيء – كما يقول العهد الجديد أيضًا سبع مرات. ويقولون إن آدم هو الرأس على حواء.

هذا الرأي منتشر على نطاق واسع. وقد أوحت بهذا التفسير لحدث الخليقة أقوال قليلة في العهد الجديد سننظر فيها لاحقًا.

على كل قارئة وكل قارئ أن يجيب عن هذا السؤال بنفسه: **إن نظرتم إلى نصّ التكوين 1 و2 وحده، فهل تجدون فيه دورًا قياديًا لآدم أراده الله؟ أو خضوعًا لحواء؟**

في هذه النصوص لا توجد هرمية، ولا خضوع أو قيادة وسلطة. بل العكس تمامًا، كما وصفته أعلاه. واضطررت إلى أن أعترف بأن خضوع المرأة بوصفه نظامًا للخليقة غير موجود. أي لا تدرّج هرمي ولا مكانة ولا دور أراده الله. **إنه يُقرأ في هذا النصّ من خارجه.**

ولهذا بالذات أقف مدافعًا عن نظام الخليقة. أعني ذاك الذي كان قبل السقوط. أما بعد ذلك فلا يمكن الحديث عن **نظام** الخليقة. فمنذ يوم السقوط صار الأمر **فوضى الخليقة (SchöpfungsUNordnung). وهذه الفوضى** لا ينبغي أن نقتدي بها، بل أن نقاومها في نور الإنجيل وقوّته.

وعمومًا ينبغي أن يُستعمل مفهوم «نظام الخليقة» باقتصاد، إن استُعمل أصلًا. فهذا المفهوم يريد أن يأسر شيئًا ويثبّته بالإسمنت، وهو في النهاية تفسيرنا نحن.

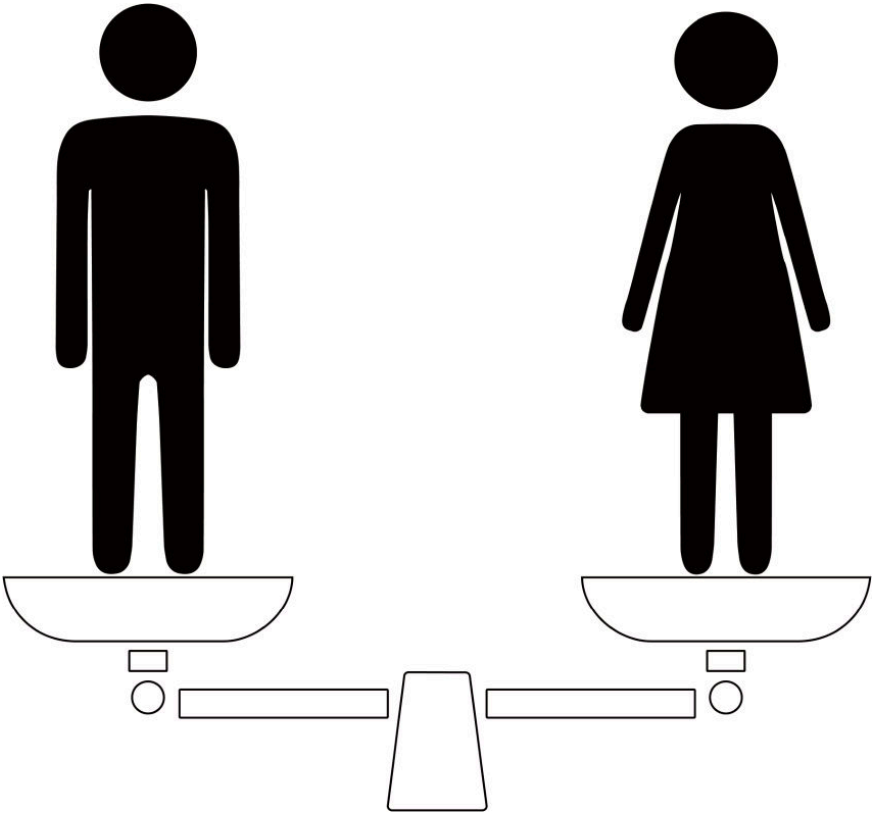

5 ما سيأتي – لكن الله لم يُرِده قطّ

والآن نلقي نظرة على وصف ما يسمّى السقوط. الحيّة تغوي حواء لتأخذ من الثمرة، فتعطي منها آدم أيضًا، فيأكل هو أيضًا. وأذكر مسبقًا: من هذه الأفعال المأساوية يُستنتج أن المرأة أسهل انقيادًا للإغواء، وأنها أخذت المبادرة هنا من تلقاء نفسها، ولم تتبع زوجها. هكذا، وعلى نحو مشابه، فُسّر الأمر عند اليهود، وعند آباء الكنيسة أيضًا، وحتى اليوم، ونُقل على المرأة بما هي امرأة.

ومع أن ما يهمّني قبل كل شيء هو العواقب المباشرة للسقوط، أورد النصّ كاملًا الذي يروي الخطوات واحدة بعد أخرى:

> التكوين 3: 4-6 [مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] فقالت الحيّة للمرأة: لن تموتا البتّة، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَين الخير والشرّ. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهيّة للنظر لتعطي الفهم؛ فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل.

كان آدم قد تلقّى من الله مباشرة النهي عن الأكل من هذه الشجرة، قبل أن تكون حواء (2: 17). فلم تكن حواء إذن قد سمعته على الأرجح إلا منه. والآن تنجح الحيّة المتكلّمة في إغوائها. وعلى ما يبدو في حضور آدم، الذي كان عليه أن يتدخّل الآن على أبعد تقدير. وكما تضعف حواء وتسقط أمام التجربة والإغواء، كذلك يضعف آدم، الذي يأخذ الثمرة المحرّمة من حواء من غير مقاومة ومن غير كلمة. كلاهما يتصرّف تصرّفًا خاطئًا، وكلاهما يرتكب غلطة مشؤومة ويخطئ. وبينما تُغوى حواء، يخطئ آدم عن وعي، من غير إغواء ولا خداع، ضدّ نهي الله.

ثم يلتقي الله الزوجين والحيّة. والجميع يدركون ما حدث. ويسأل الله كلًّا منهم شخصيًا عمّا جرى. فتأتي أجوبة بليغة الدلالة. ويخاطب الله المعنيّين بهذا الترتيب:

آدم – حواء – الحيّة – حواء – آدم.

> التكوين 3: 13-15 [مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] فقال الإنسان: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلتِ! فقالت المرأة: الحيّة خدعتني فأكلت. فقال الرب الإله للحيّة: لأنك

فعلت هذا، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع حيوانات البرّية! على بطنك تسعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها؛ هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه.

آدم واعٍ بذنبه. أو ربما ليس تمامًا، لأنه يلقيه فورًا على حواء. إنه أمر بائس وجبان أن يحمّل زوجته المسؤولية هكذا ليخرج هو نفسه من المأزق.[1] بل إن الله نفسه يُتّهم ضمنًا، هو الذي وهبه المرأة التي كان سعيدًا بها جدًّا. **هو، لا هي، عرف الوصية من مصدرها الأول، وكان عليه أن يقول لحواء: لا، بحزم.**

حواء تعترف بذنبها. لا تتّهم آدم الذي لم يمنعها، ولا الله، بل الحيّة. ومنها تتبرّأ. وكان هذا هو الصواب الوحيد في هذا الموقف المشؤوم. فقد استيقظت الآن، واتّخذت موقفًا ضدّ هذا العدوّ. بخلاف آدم الذي لا يقف في هذه المحادثة إلى جانب زوجته.

ستبقى الحيّة ملعونة إلى الأبد بسبب هذا الخداع، ومذلولة إلى التراب. حواء تسمّي مسبّب الشرّ بوضوح، وهناك وعد عظيم لم يكن مداه يُدرك آنذاك. نسلها – نعم، تقرؤون صوابًا – نسل المرأة، لا نسل رجل، سيسحق رأس الحيّة.

والآن تُذكر العواقب لحواء ثم لآدم. وأقتبس من ترجمة Zürcher (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)، فهي هنا أوضح من ترجمة Elberfelder:

التكوين 3: 16 [مترجَم عن ترجمة Zürcher الألمانية] وقال للمرأة: سأجعل لك أتعابًا كثيرة، وأجعل حَبَلك كثيرًا، بالأوجاع تلدين أولادًا.

إلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.

وبينما تُلعن الحيّة، **لا تصيب المرأة لعنةٌ، على الرغم من تعدّيها**. ومعنى كلمات العقاب هذه هو هذا:

سأُكثر حتمًا (1) عملك الشاقّ في الحقل و(2) حَبَلك.

بالجهد تلدين أولادًا.

إلى رجلك يكون اشتياقك [المُحبّ]. لكنه [يسود على نفسه متمرّدًا، و] سيريد أن يسود عليك.

1. يبدو أن آدم لم يكن ينظر إلى حواء بوصفها تابعة له، لأنه على الأرجح ما كان ليدع تابعةً تأخذه على حين غرّة.

التعب والمشقّة هما عمل الزراعة. وفيه تتألّم حواء مع آدم بسبب الأرض الملعونة. واللعنة لا تصيب أحدهما ولا كليهما معًا، بل الأرض. وتحت ذلك سيتألّم كلاهما.

لكن هناك رجاء. فالله سيُكثر حَبَل حواء. ولذلك سيكون حتمًا النسل الذي يقتل الحيّة. ففي البداية بالذات تشرق النعمة، والمرأة هي التي تقف في المركز، على الرغم من الإغواء الذي تعرّضت له، وهي التي يُعطى لها الرجاء. لا آدم.

الله لا يغيّر تشريح جسد المرأة لكي يكون لها عقابًا مزيد من الأوجاع في الولادة. فهي لم تلد بعد أي ولد حتى الآن. والمشقّة لا تتعلّق بأوجاع الولادة، بل بالزراعة.

لنأتِ الآن إلى الجزء الذي يتعلّق بعلاقتها بزوجها. هذا ليس وعدًا، بل كلمة مأساوية. إنها تفتتح لنساء لا يُحصى عددهنّ تاريخًا من الألم والقهر، ينبغي أن يخجل الرجال منه. **ليست مشيئة الله أن يسود الرجل على المرأة، بل هي مشيئة الرجل الخاطئة الساقطة. هذا هو المعنى الحقيقي لهذه الكلمة.** إنها لا تصف نظامًا للخليقة يجب التقيّد به. بل تصف فوضى. لأن النظام الحسن في التكوين 1 و2 قد اختلّ هنا وتحطّم.

من يتّخذ هذه الكلمة الكتابية حجّة لخضوع المرأة، يقف إلى جانب الحيّة. فقد قيل للحيّة مسبقًا إنه ستكون عداوة بين حواء والحيّة. والحيّة كانت المعتدية، التي استغلّت سيادة الرجل، وما زالت تستغلّها، لتميّز ضدّ المرأة حيثما وكيفما أمكن. لأن من المرأة كان سيأتي من يغلب الحيّة. فكان المطلوب إذن مهاجمة المرأة وإضعافها.

الرجل والمرأة كانا مدعوَّين إلى أن يتسلّطا معًا. لكن الرجل سينتزع السلطة لنفسه، ويُخضع المرأة بوصفها الجنس الأضعف، ويسخّرها لخدمته. ومفهوم النظام الأبوي يصف عمومًا وصفًا جيدًا ما كان مصير المرأة المحزن خارج عدن. باستثناءات قليلة.

فالعلاقة الأصلية القائمة على الدعم والقوة المتبادلين، وعلى المساواة، وعلى الاعتراف بين متساوين، وعلى الاعتراف بالآخر بوصفه أقرب رفيق، قد صارت علاقة مضطربة على نحو مريع، غير متكافئة عاطفيًا، قائمة على القوة، كثيرًا ما تخلو من المحبة. ستشتاق المرأة إلى زوجها وإلى مودّته وثقته وحمايته، لكنه سيهيمن عليها. إنه انكسار وانقلاب مروّع.

وهذا الصراع بين الجنسين سيظهر فيما بعد على كل مستويات الثقافات عند جميع الشعوب. ولا يمكن أن يُشفى إلا إذا اقتُلع الشرّ المسبّب من جذوره.

وفي الختام نظرة إلى كلمات العقاب لآدم، وهي قاتمة حقًّا، وتخصّ في النهاية المرأة أيضًا، التي تشاركه حياته وصراعه من أجل البقاء:

> التكوين 3: 17-19 [مترجَم عن ترجمة Elberfelder الألمانية] وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلًا: لا تأكل منها! – ملعونة الأرض بسببك: بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك؛ وشوكًا وحسكًا تُنبت لك، وتأكل عشب الحقل.
>
> بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض، لأنك منها أُخذت. لأنك تراب، وإلى تراب تعود!

ليس من أجل حواء لُعنت الأرض، بل من أجل آدم. ويبدو أن خطيته أعظم. كانت حواء أقرب إلى الضحية، وهو أقرب إلى الجاني. ونسل المرأة، أي نسل من نسلها، تلك التي أُعطيت له معينًا، سيكون معينًا له في المستقبل البعيد أيضًا: نسلها (يسوع المسيح) سينتشله في القيامة من التراب إلى الحياة. وسيأتي يوم نستطيع فيه أن نتكلّم مع آدم أيضًا، إن كان سيريد عندئذ أن يتحدّث في ذلك أصلًا.

في رواية السقوط، لا في روايات الخليقة، يُذكر لأول مرة تفوّق أحد الجنسين على الآخر. وهنا لا يتعلّق الأمر بتفوّق متأصّل، بل بتفوّق يُمارَس بالقوة والبطش والعنف من غير حقّ، ضدّ نظام الخليقة الذي وضعه الله. وكلمات الخالق لحواء: «إلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك» (التكوين 3: 16) تعني أنه في حالنا البشرية الخاطئة يستغلّ الرجل اشتياق المرأة الطبيعي إليه ليتسلّط عليها ويُخضعها. فإخضاع المرأة هو بالفعل عَرَض من أعراض طبيعة الرجل الساقطة. وإن كانت حياة المسيح وعمله تعني التغلّب على عواقب السقوط، فإن أثر ذلك في هذه العلاقة المحطّمة، وفي إخضاع المرأة واستغلالها، واضح: سيحرّرها ويُخرجها. وهكذا كان ينبغي أن يكون.

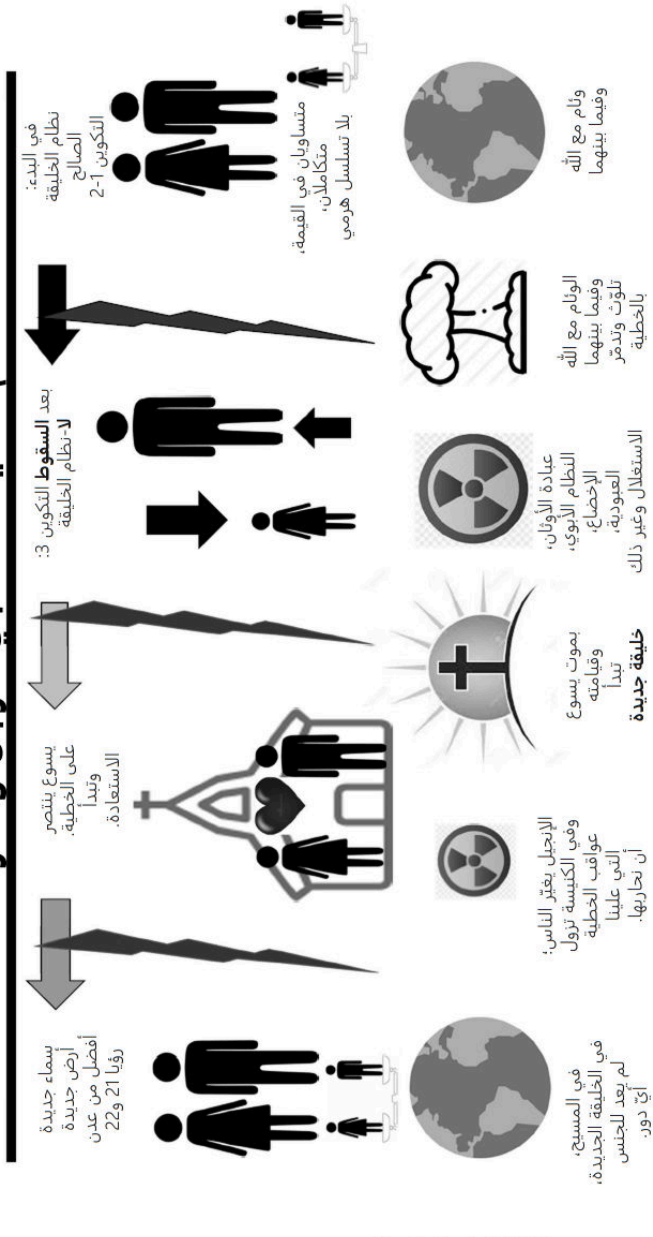
نظام الخليقة الكتابي للرجل والمرأة
في البدء:
نظام الخليقة
الصالح
التكوين 1-2
متساويان في القيمة،
متكاملان،
بلا تسلسل هرمي
والمرأة
وئام مع الله
وفيما بينهما
بعد السقوط التكوين 3:
لا-نظام الخليقة
الوئام مع الله
وفيما بينهما
تلوّث وتدمّر
بالخطية
يسوع ينتصر
على الخطية.
وتبدأ
الاستعادة.
عبادة الأوثان،
النظام الأبوي،
الإخضاع،
العبودية،
الاستغلال وغير ذلك
سماء جديدة
أرض جديدة
أفضل من عدن
رؤيا 21 و22
بموت يسوع
وقيامته
تبدأ
خليقة جديدة
والمرأة
وئام مع الله
وفيما بينهما
في المسيح،
في الخليقة الجديدة،
لم يعد للجنس
أيّ دور.
الإنجيل يغيّر الناس،
وفي الكنيسة تزول
عواقب الخطية
التي علينا
أن نحاربها.
Hans-Jörg Ronsdorf 10.4.2021

6 يسوع المسيح والنساء

ليس عمل الفداء الذي أتمّه الرب يسوع المسيح وحده هو الذي يتغلّب على عواقب السقوط. فالطريقة التي يعامل بها النساء ويلقاهنّ، في بيئة يهودية ويونانية رومانية معًا قبل ألفي سنة، هي بالفعل بداية تقويم جديد للنساء. لم يكن قد وُجد قطّ رجل مثله. وقد يتكوّن لدى المرء انطباع بأن الله جاء رجلًا في الجسد ليُري الجنس الذكري كيف يتصرّف المرء تجاه النساء.

كان النبيّ الذي يوبّخ من غير تذمّر، ويمدح من غير تعالٍ. أخذ أسئلتهنّ وضيقاتهنّ وحججهنّ على محمل الجدّ. كان يتعامل معهنّ بلا أي حرج، ولم يسخر قطّ من أنوثتهنّ. على خلاف تامّ لما كان مألوفًا في الثقافة آنذاك، حيث كان المرء يشكر الله لأنه لم يولد امرأة. وحيث كانت المرأة ملكًا يمكن التخلّص منه من جديد بكتاب طلاق لأتفه الأسباب. كان للنساء، كما للأطفال، نصيب صعب لا نستطيع أن نتصوّره في زمن التحرّر والمساواة في الحقوق في عالمنا الغربي. أما المسيّا فقد اعتنى ببنات حواء. **عنده يغيب كل إشارة إلى خضوع هرمي للمرأة، كما يغيب كل منع لها من الكلام أو القيادة أو التعليم في الكنيسة أو في الزواج أو في المجتمع.**

امرأةٌ ولدت كلمة الحياة إلى العالم. ونساء كثيرات تبعنه كما تبعه الاثنا عشر، وخدمنه. تبعنه في أصعب طريق له إلى الصليب. كنّ عند الصليب، حين كان التلاميذ قد هربوا منذ زمن. ولامرأة يظهر القائم من الأموات أولًا. والنساء عند القبر الفارغ يصرن شاهدات للقيامة. ولم تكن النساء في تلك الثقافات يُعتبرن أهلًا لأن يكنّ شاهدات بالمعنى القانوني. ويسوع يلغي هذا التمييز ببساطة.

ولضيق المجال ننظر من بين النساء الكثيرات اللواتي التقاهنّ يسوع إلى ثلاث فقط، لكي نجد ما قيل أعلاه في حياة يسوع.

6.1 السامرية عند بئر يعقوب

اقرؤوا يوحنا 4 وانغمسوا في هذه القصة. في حرّ الظهيرة، حين لا يأتي أحد ليستقي ماء، عندئذ فقط تجرؤ على المجيء إلى البئر. وهناك ينتظر يسوع هذه المرأة. وليلقاها سلك طريقًا طويلًا ملتفًّا. خمسة رجال طلّقوها، تداولوها واستهلكوها. ولكي تبقى على

قيد الحياة اضطرّت أن تأتمن رجلًا سادسًا على نفسها، وأن تعيش بسمعتها المحطّمة. في ذلك الزمن لم يكن الرجل يكلّم امرأة علانية، فكيف بيهودي يكلّم سامرية! لكن يسوع فعل ذلك! يُعلن نفسه لهذه المرأة أنه المسيّا. وهذا ما لم يكن قد فعله من قبل قطّ. ويتكلّم معها طويلًا عن ماء الحياة وعن السجود، أطول مما تكلّم مع أي أحد آخر في موضوع لاهوتي. يمنحها وقتًا. يربح قلبها. كانت تستحقّ ذلك في عينيه، هو الرجل من الناصرة، الرجل من سوخار.

وبعد هذا اللقاء مع الله، وقد تحرّرت من كل خوف وخجل، تبشّر قريتها كلها. فيؤمن كثيرون. ويبقى يسوع والتلاميذ يومين آخرين.

ولاحقًا سيجتمع هؤلاء المؤمنون في السامرة في كنائس بيتية. وهي، المرأة، ستتكلّم بلا شكّ في هذه الاجتماعات عنه، عن الرجل من سوخار، عن مسيّاها وعن لقائها الفريد به. ستنقل ما قاله لها عن السجود. لأن الكنيسة المجتمعة هي المكان الذي يُسجد فيه للآب. وهذه المرأة أيضًا سترفع صوتها حتمًا في الكنيسة لتسجد. وإلا فلماذا شرح السجود لها هي بالذات، لامرأة؟

إن وصية الصمت تصير ضربًا من العبث بهذه القصة وحدها.

6.2 عند قدمي يسوع – مرثا ومريم

القصة معروفة إلى حدّ كبير (لوقا 10: 38-42)، وفيها تشتكي مرثا ليسوع من أن أختها مريم لا تساعدها حين تُعدّ الطعام ليسوع وتلاميذه. فمريم تفضّل أن تجلس مع التلاميذ عند قدمي يسوع لتتعلّم منه. ويسوع يدافع عن مريم ويقول إن هذا ضروري بل وإنها اختارت النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها. ماذا يعني هذا؟ النساء أيضًا في ملكوت الله ينبغي أن يتعلّمن كما يتعلّم الرجال. لم يكن في مدارس الربّانيين نساء تقريبًا. ويسوع يفعل غير ذلك. الرجل والمرأة قادران بالقدر نفسه على أن يتعلّما، وقادران بالقدر نفسه على أن يعلّما. وهنا أيضًا يكسر يسوع عرفًا من أعراف زمنه لم يعد موجودًا عندنا منذ زمن طويل. ويكتب بولس لاحقًا إلى تيموثاوس (2 تيموثاوس 2: 2) أن ما سمعه منه بشهود كثيرين ينبغي أن يودعه أناسًا – نساءً ورجالًا – يكونون أكفاء أن يعلّموا آخرين أيضًا. وهذا يعبّر تعبيرًا ملائمًا عن هذا الموقف: يسوع يأتمن على تعاليمه أناسًا، تلميذات وتلاميذ، يصيرون بذلك أكفاء ليعلّموا آخرين فيما بعد. **وهذا يناقض بوضوح أي منع عامّ للنساء من التعليم.**

في العلاقة بيسوع لم يعد للجنس دور. فهو لم يكن ينظر إلى وجوه الناس (متى 22: 16). وهذا لا يعني أن الجنسين قد أُلغيا، بل أن يسوع يكرّم كليهما بالقدر نفسه ومن غير فرق: **من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي!** (مرقس 3: 33-35)

6.3 مريم المجدلية، رسولة الرسل

هكذا يسمّي أبو الكنيسة هيبوليتس الروماني (Hippolyt von Rom) في القرن الثالث مريم المجدلية. لماذا؟ كانت أول من التقاها يسوع بعد قيامته. ربما أحبّته أكثر من الجميع. كان يسوع قد حرّرها من عبودية المسّ الشيطاني وبؤسه. ومنذ ذلك الحين تبعته، مع نساء أخريات كان قد شفاهنّ (لوقا 8: 2-3). كان يعرف قلبها. وهي وحدها، امرأة، كان مقدّرًا لها أن تعيش هذه اللحظة الفريدة في البستان. ولها وحدها، على ما يبدو، أُتيح أن تسمع من يسوع كلمات تفوق كل ما سمعه البشر يومًا:

> ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم (يوحنا 20: 17).

وهكذا تصير المرسَلة، الرسولة إلى التلاميذ. لقب شرف يليق بها، وإن لم يكن رسميًا. لا لرجل، ولا لأحد الاثني عشر تُؤتمن هذه الرسالة. بل لامرأة تُؤتمن، بوصفها شاهدة أمينة. **ألن تكون قد روت هذا اللقاء مرة بعد مرة في الاجتماعات أيضًا؟**

7 الكنيسة العروس وخدمة النساء

كل المؤمنين، كل المعترفين بيسوع، رجالًا ونساءً على حدّ سواء، هم معًا عروس الحمل.

في رواية الخليقة يظهر بوضوح لا لبس فيه كيف أن آدم وحواء، بحسب مشيئة الله، لا يتسلّط أحدهما على الآخر، بل يحقّقان مهمّة الخليقة التي أعطاها الله معًا وجنبًا إلى جنب. لا امتيازات لأحدهما على الآخر، ولا قيود على أحد الجنسين. هكذا يبدو الزواج بحسب خطة الله، وهكذا تبدو من حيث المبدأ معاملة الجنسين أحدهما للآخر في كل مجالات الحياة.

وقد حطّم السقوط هذه الصورة تحطيمًا دائمًا: فالتوازن قد دُمّر، والرجل يريد الآن – باستثناءات طبعًا – أن يتسلّط على المرأة. بالخطية وحدها صارت المرأة خاضعة. بل مُخضَعة ومدفوعة إلى الخلف. والحياة العامّة محفوظة للرجل. والمرأة بدورها ستطوّر استراتيجياتها لتصنع من وضعها أفضل ما يمكن.

لكن كيف هو الأمر في الكنيسة، وكيف في ملكوت الله؟ هل ينبغي أن يستمرّ هناك هذا النمط الخاطئ من عدم المساواة والتوتّر والخضوع من طرف واحد؟ في رسائل بولس وبطرس كلمات يمكن أن تُفهم هكذا، إن أراد المرء أن يفهمها هكذا. لكن لنلقِ نظرة أولًا على بولس.

7.1 بولس ومعاوناته

نصّان، وربما ثلاثة، من الكتاب المقدس تُظهر بولس، إن فُهمت فهمًا سطحيًا، **عدوًّا للنساء**. لكن إن نظر المرء عن كثب، فالعكس هو الصحيح على الأرجح. فمثل يسوع، قدوته المطلقة، يعامل النساء معاملة ثورية، أي مساوية في الحقوق للرجال. كان **صديقًا للنساء**. إنه فعلًا لا يفرّق. والبداهة التي يكتب بها عن الأخوات في الرب لافتة للنظر. فعمل الرسول والمرسَل الذي لا يكلّ، بولس، كان محاطًا بنساء كثيرات ومتشابكًا معهنّ. كنّ مندمجات في رسالته، وكنّ كحلقات في سلسلة معاونات لا غنى عنهنّ. لم تكن النساء مساعدات في الصفّ الثاني، بل تميّزن بالأمانة وخدمن الكلمة كما خدمها بولس. ونستطيع أن نعدّد عددًا كبيرًا من هؤلاء النساء، لكنني أقتصر على

ثلاث. ففي رومية 16 يُذكر 29 شخصًا، عشرة منهم على الأقل نساء، يكرّم بولس خدمتهنّ وبذلهنّ، أكثر من خدمة الرجال. ومن هناك نبدأ.

7.1.1 فيبي – شمّاسة وقائدة وحاملة الرسالة

تبدأ قائمة التحيّات في رومية 16 بفيبي. ولسبب وجيه. فهي التي تملك الثقة والوسائل لتحمل إلى روما رسالة بولس التي ربما كانت أهمّ رسائله. وكان من المألوف أن حامل الرسالة لا يقرؤها فحسب، بل يجيب أيضًا عن الأسئلة المتعلّقة بها. وفيبي، وقد علّمها بولس شخصيًا وأدخلها في فهم هذه الرسالة التي كتبها في كورنثوس، كانت قادرة على أداء هذه المهمّة. كانت تزور الكنائس البيتية المختلفة في روما لتقرأ الرسالة وتشرحها حيث كانت هناك أسئلة.

كانت هي نفسها خادمة، شمّاسة الكنيسة البيتية في كنخريا، الميناء الشرقي لكورنثوس. بل أكثر من ذلك، ربما كانت قائدة هذه الكنيسة. ويسمّيها بولس بحسب الترجمات الألمانية معينة أو مساعِدة أو سندًا. لكن الكلمة تعني في الأصل رئيسة (باليونانية: prostatis)، وتشير إلى مكانة قيادية، مثلًا في هذه الكنيسة البيتية. ومن الصعب أن نتصوّر أن بولس يعطي فيبي هذه المهمّة، وهي ذات مكانة مسؤولة في الكنيسة البيتية في كنخريا، بينما يمنع النساء عمومًا من الكلام والتعليم والقيادة في الكنيسة.

ومن جهة أخرى لا نريد أن نقرأ في هذه الآيات أكثر مما فيها، لكن ليس حسنًا أيضًا أن نفسّرها كأنها لم تؤدِّ إلا خدمة ساعي بريد بسيطة.

7.1.2 زوجان قدوة: بريسكا وأكيلا

الزوجان بريسكا وأكيلا، الأكثر ذكرًا، ربما كانا أقدم معاوني بولس وأقربهم إليه في عمله المرسلي. ومع أن الرجل كان يُذكر أولًا دائمًا عند ذكر الأزواج، يذكر العهد الجديد بريسكا، الزوجة، أولًا أربع مرات (من ست مرات). لماذا؟ لأنها كانت تتقدّم في الخدمة وتقود. وربما لأنها كانت أكثر موهبة من زوجها. ومع ذلك كانا يعملان معًا شريكين في فريق، متساويين في القيمة والمرتبة، في وحدة. كلّ منهما يعرف نقاط قوّة الآخر وضعفه. وكانت بريسكا بوصفها امرأة مهمّة أيضًا من الناحية الاستراتيجية، لأن النساء كنّ في الغالب يُبشَّرن على أيدي نساء، لا رجال. وكلاهما، وبريسكا في المقدّمة، علّما أبلّوس

(أعمال الرسل 18: 26). وقد تعلّما من بولس نفسه، وتدرّبا بالأسئلة والأجوبة في ساعات كثيرة من صناعة الخيام معًا، فكانا مؤهَّلين لتعليم آخرين.

وهنا بالذات يجب أن تُذكر بريسكا، المرأة، ذكرًا خاصًّا. كان زوجها يقف خلفها داعمًا، في الصفّ الثاني، من غير أن تنشأ عن ذلك هرمية. ولا يمكن أن نتصوّر أن بولس كان سيفرض منعًا عامًّا للنساء من التعليم، وهي بالذات علّمت أبلّوس، وبالتأكيد كثيرين غيره أيضًا. هذان الزوجان قدوة لكل الأزواج.

7.1.3 يونيا – الرسولة المشهورة

وزوجان مرسَلان آخران يكرّمهما بولس: أندرونكوس ويونيا. كلاهما يُسمّى رسولًا (رومية 16: 7). والمفسّرون الأوائل للعهد الجديد، آباء الكنيسة، يتكلّمون عن يونيا بتقدير كبير. يكتب يوحنا الذهبي الفم (Johannes Chrysostomos) (344-407م) عن يونيا: «أن يكون المرء رسولًا أمر عظيم. لكن أن يكون مشهورًا بين الرسل – فكّر أي مديح عظيم هذا. كم كانت عظيمة حكمة هذه المرأة حتى وُجدت أهلًا للقب رسول.»

إن عالم الكنائس الذي يسيطر عليه الرجال يجد صعوبة في أن تُدعى امرأة رسولةً على لسان الرسول بولس. لذلك توجد ترجمات تجعل من يونيا «يونياس»، أي اسم رجل. فما لا يجوز أن يكون، لا يمكن أن يكون. لكن البحث العلمي أكّد مرارًا الآن أن الاسم اسم امرأة.

بأي معنى كان الاثنان رسولين، يبقى سؤالًا مفتوحًا. ربما أرسلتهما كنيسة. وربما مارسا خدمة رسولية في تأسيس الكنائس. أو كانا رسولين بمعنى أنهما من الذين رأوا القائم من الأموات، ويعملان الآن خارج فلسطين لأجل ملكوت الله.

وهنا أيضًا أكرّر نفسي: **منع النساء من الكلام والتعليم والقيادة يصعب جدًا أن تلتزم به رسولة.** وكونهما كانا كلاهما في السجن مع بولس مدّة من الزمن يسمح بالاستنتاج أنهما كليهما بشّرا بالإنجيل، وعلى الأرجح علانية أيضًا.

8 هل هناك وصية صمت للأخوات؟

حين يرى المرء هؤلاء النساء الثلاث، ونساء أخريات أيضًا في محيط بولس، لن تخطر بباله فكرة أن النساء في الكنيسة البيتية المجتمعة، أي في ما نسمّيه اليوم العبادة، يجب أن يصمتن. ولا توجد في العهد الجديد كله أي علامة على أنه كان ينبغي أن يكون الأمر هكذا أو أنه مورس هكذا. **بل ما كانت لتخطر ببالنا فكرة أن شيئًا كهذا يمكن أن يوجد.**

ما عدا مقطعًا قصيرًا من النصّ يجب أن يُفهم هكذا. والمقصود هذا النصّ في 1 كورنثوس 14: 34-35:

> لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنه ليس مأذونًا لهنّ أن يتكلّمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضًا.
>
> ولكن إن كنّ يردن أن يتعلّمن شيئًا، فليسألن رجالهنّ في البيت، لأنه قبيح بالنساء أن تتكلّم في كنيسة.

يمكن أن يُفهم هذا وصيةً مباشرة وقاطعة من الرب. لكن هناك شكوكًا لها ما يبرّرها. لا بسبب موقف تحرّري أو نسوي، بل بأسباب من الكتاب نفسه.

في الأصحاح 11: 5 يتكلّم بولس عن نساء يصلّين ويتنبّأن (بالاتفاق مع يوئيل 2: 28 + أعمال الرسل 2: 17). أين يفعلن ذلك؟ بعضهم يقول: في الاجتماع، وبعضهم يقول: خارج الاجتماع فقط، كما تبدو الآيتان 34-35 في الأصحاح 14 مؤكّدتين له. لكن الصلاة والتنبّؤ عند بولس تحدث **قبل كل شيء** في الاجتماع. هكذا يصف ذلك في الأصحاح الرابع عشر. وهناك من البديهي عند بولس أن النساء يشاركن. وهكذا يعبّر عن ذلك مرات عدّة.

- الآية 5: إني أريد أن جميعكم تتكلّمون بألسنة، ولكن بالأولى أن تتنبّأوا!
- الآية 12: اطلبوا أن تزدادوا (جميعكم) لأجل بنيان الكنيسة.
- الآية 23: فإن اجتمعت الكنيسة كلّها في مكان واحد، وكان الجميع يتكلّمون بألسنة ...

- الآية 26: فما هو إذًا أيها الإخوة؟ متى اجتمعتم فكلّ واحد منكم له مزمور، له تعليم، له إعلان، له لسان، له ترجمة؛ فليكن كل شيء للبنيان.

والمقصود بالإخوة (باليونانية: adelphoi) الإخوة والأخوات معًا، أي الإخوة **و**الأخوات، كما في آيات كثيرة أخرى لا يمكن أن نقصرها على الرجال (فالكلمة ترد 27 مرة في الرسالة الأولى إلى كورنثوس، والمقصود بها في كل المرات تقريبًا الإخوة **و**الأخوات).

- الآية 31: لأنكم تقدرون جميعكم أن تتنبّأوا واحدًا واحدًا، ليتعلّم الجميع ويتعزّى الجميع.

لكل مسيحي يرى في الكتاب المقدس كلمة الله، التناقضات داخل النصّ الكتابي مستبعدة. لكن الآيتين 34-35 تبدوان لمعظم القرّاء في النصّ كجسم غريب. وهذا لا علاقة له أولًا بنقد الكتاب المقدس أو بموقف قلبيّ خاطئ، بل بالعقل السليم الذي يلاحظ هنا عن حقّ تناقضًا.

كيف نستطيع أن نحلّ هذا التناقض؟ إزاء هذه الآيات التي تصلّي فيها النساء وتتنبّأ، ويُدعى فيها الجميع إلى ذلك، وكذلك إزاء وصف بولس لخدمات النساء، من المستحيل أن يكون المقصود وصية صمت شاملة لا يحدّها زمن. وبكلمات أخرى: نحتاج إلى تفسير آخر لهذا النصّ، يعطي معنى معقولًا لا متناقضًا. وهناك تفسيرات كثيرة جدًا، أو بالأحرى محاولات للتفسير، لأن معظم المفسّرين قد لاحظوا التناقض. أذكر هنا قليلًا منها، ثم أقترح حلًّا آخر.

8.1 تقييم النبوّات

إذا كان على النساء في كورنثوس أن يسألن رجالهنّ في البيت، فهذا يعني أنه كانت لديهنّ أسئلة، وأنهنّ على الأرجح لم يكنّ قد تعلّمن تعلّمًا جيدًا. كانت تنقصهنّ المعرفة. فإما أنهنّ كنّ يقاطعن بأسئلتهنّ في اجتماعات الكنيسة كثيرًا، أو يقدّمن مشاركات لم تكن حكيمة، وفوق ذلك بطريقة كانت عكس ما يسمّيه بولس هنا الخضوع. وبذلك كنّ يشوّشن، فتنشأ فوضى لا توافق إله السلام. فلا يكون الأمر إذن هل يقلن شيئًا، بل كيف يقلن وماذا يقلن.

ويمكن أيضًا أن يعني ذلك أن النساء كنّ مستبعدات من تقييم الأقوال النبوية (الآية 29) لأزواجهنّ أو لكل الرجال، لأنه كان عارًا في ثقافة ذلك الزمن أن تفضح الزوجات

أزواجهنّ بنقد علني.

8.2 الآيتان 34 و35 اقتباس؟

من الممكن أن بولس يقتبس هنا من بعض أهل كورنثوس ليدحض قولهم. وعندئذ لا تكون هذه كلمات بولس. فمن المعترف به عمومًا أن بولس في الرسالة الأولى إلى كورنثوس يقتبس مرات عدّة، إما بتصرّف وإما حرفيًا، من رسالة، في المواضع التالية: 6: 12-13؛ 7: 1؛ 8: 1، 4؛ 10: 23؛ 15: 12. وليس كل اقتباس يُسمّى اقتباسًا دائمًا، بل يُستنتج من السياق أنه اقتباس. وكان قد عرف شفاهةً أو برسالة أن هناك رجالًا في كورنثوس يطالبون بوصية صمت كهذه للنساء. ومثل هذه المطالبات بالصمت كانت موجودة في ثقافة اليونانيين والرومان آنذاك.

والاستناد إلى الناموس غريب، لأن وصية صمت، وكذلك وصية خضوع، غير موجودة في الناموس الموسوي. لا نجد في العهد القديم شيئًا عن خضوع النساء وصمتهنّ، ولا في قصة الخليقة أيضًا. وبولس بالذات يُبرز بوضوح أن الناموس الموسوي لم يعد قاعدة الحياة للمسيحيين، فضلًا عن أن يكون مرجعًا في ترتيب العبادة. لذلك قد يكون المقصود هنا تفسيرًا أو قاعدة يهودية أو يونانية أو رومانية استند إليها هؤلاء، لا الناموس الإلهي، ولا ناموس المسيح. وهذا يدعم الرأي القائل إننا هنا أمام اقتباس.

وإن كان اقتباسًا، فإن بولس يردّ في الآية 36 ردًّا واضحًا، بل مستنكرًا، على هذه المطالبة التي لا يمكن الدفاع عنها. وهذا لا يظهر هكذا في الألمانية ولا في ترجمات الكتاب المقدس. ويمكن أن نعبّر عن ردّه هكذا: «ماذا؟» أو «هراء!» أو «كلّا على الإطلاق» تصمت النساء في الاجتماع. فيكون هذا اعتراضًا ورفضًا شديدًا من بولس.

8.3 الآيتان 34 و35 إضافة لاحقة؟

تبدو الآيتان غريبتين، وفيهما مضامين لا يجدها المرء عند بولس في مواضع أخرى. وقد صارت هناك الآن إشارات واضحة من الشواهد النصّية القديمة على أن هاتين الآيتين إضافة من النسّاخ.

لو كانت لدينا شكوك داخلية فقط، أي أقوال متناقضة أو صعبة الفهم، لكان علينا أن ننتظر الإيضاح. لكن هناك الآن معطيات من الشواهد المخطوطة يبدو أنها تؤكّد ذلك.

أول شكّ له ما يبرّره تثيره حقيقة أن هاتين الآيتين تقعان في المخطوطات مرات عدّة في مواضع مختلفة. مرة في الموضع الذي نجدهما فيه عادةً، أي بعد الآية 33. **لكنهما في مخطوطات أخرى تقعان بعد الآية 40.** وأبسط تفسير هو هذا: كتبهما أحدهم في هامش مجلّد مخطوط. ثم نقل الناسخ التالي هذه الملاحظة الهامشية إلى النصّ الأساسي، وحدّد هو في أي موضع. ولو كان الموضع هو نفسه دائمًا، لما لاحظ أحد شيئًا.

وهذا الشكّ الأولي يؤكّده اكتشاف في **المخطوطة الفاتيكانية (Codex Vaticanus)** المهمّة من القرن الرابع. وهي من أهمّ المخطوطات الكبيرة للعهد الجديد. ففي هذا النصّ عُلّمت هذه الآيات، وآيات أخرى قليلة، فعلًا بوصفها إضافة لاحقة.

والمخطوطة الفولدية (Codex Fuldensis) من القرن السادس أيضًا فيها القراءتان كلتاهما، والقراءة التي **لا** تتضمّن الآيتين 34 و35 تُفهم على أنها تصحيح.

فالأصلان اللذان نُسخ عنهما المجلّدان (المخطوطتان) لم تكن فيهما هاتان الآيتان إذن!

وعندئذ لا تأتيان من بولس. وما دامتا ليستا من كتابة بولس، فهما ليستا موحى بهما، بل خاطئتان ببساطة. كالزرع الرديء الذي زُرع بين الزرع الجيد ولا يزال ينمو حتى اليوم. وإن نظر المرء إلى آثار هاتين الآيتين، وما فعلتاه بالنساء، وكم من الدموع والخصام والانقسام جلبت هذه الكلمات، أمكنه أن يفهم تمامًا الشكّ الذي تعبّر عنه هذه الفرضية.

وحذف هاتين الآيتين يجعل المقطع الأخير من 1 كورنثوس 14 متماسكًا من جديد، ويعطي تسلسلًا واضحًا للأفكار.

والنساء اللواتي يأخذن وصية الصمت بحرفيّتها على محمل الجدّ، لا يجوز لهنّ أن يرنّمن مع الآخرين (14: 15)، ولا أن يقلن «آمين» (14: 16). لكنهنّ يفعلن ذلك حتى حيث تُفهم وصية الصمت هكذا. وهذا تناقض في المنطق، ويُظهر كيف أن بولس نفسه كان سيناقض نفسه بحسب هذا التفسير. ربما كان الأمر هكذا في مجمع اليهود، لكن ليس في اجتماعات القائم من الأموات.

أجد أمرًا مأساويًا أن الرجال اختاروا بهذه الكلمة المنسوبة إلى بولس، من غير اعتبار لسياق الأصحاح والرسالة والعهد الجديد، هذا التفسير على حساب النساء، فألزموا بذلك كل النساء بالصمت. وهم بذلك يسلبون الاجتماعات غنًى روحيًا كثيرًا، إن لم يكن

صوت الرب نفسه. لأن الأخوات أيضًا لهنّ روح الله ومواهب الروح. أيمكن أن يكون على نصف جسد المسيح أن يصمت في أهمّ اجتماع؟ أو أن الروح لا يعمل إلا بالرجال؟

تعلّمت أن أقارن دائمًا الكتاب بالكتاب، وأن أبحث عن نصوص موازية تدعم تفسيرًا ما وتؤكّده. هل يوجد نصّ آخر يتضمّن وصية صمت للنساء، أو يفترضها ضمنًا، أو يأمر بها؟ لا.

ففي المجمل لا توجد إلا أقوال تدلّ على مشاركة النساء أو توحي بها، مباشرة أو بطريقة غير مباشرة. أما وصية الصمت فنصّ واحد فقط. وهو فوق ذلك غير مألوف، بحيث إنه إما يشير إلى كلام غير لائق ولذلك يُمنع، وإما أنه ليس من بولس، بل إضافة غير مشروعة أو اقتباس. وعندئذ لا يكون توجيهًا رسوليًا، بل عكسه تمامًا.

كيف يصل المرء، مع أدلّة شحيحة كهذه، إلى أن يحكم على حساب الأخوات، ويمنعهنّ طوال حياتهنّ من الكلام في أهمّ اجتماع للمسيحيين؟ ثم يردّ في الوقت نفسه بانفعال وتوتّر شديدين حين يُكلَّم في هذا الموضوع؟ هل لي أن أطلب بإخلاص من الرجال الذين يصرّون على ذلك أن يضعوا أنفسهم مرة في مكانهنّ؟ أي أن يقبلوا أمرًا بعيد المدى إلى هذا الحدّ، صارمًا ومستعصيًا على الفهم، بل ومتناقضًا، على أنه وصية من الرب، استنادًا إلى جملتين فقط؟ إن وصايا الرب مفهومة، وليست غريبة ولا مثيرة للشكّ؛ إنها للبنيان ولخيرنا، لا لتحقير أحد الجنسين.

لا أستطيع إلا أن أطرح السؤال: **من له أكبر مصلحة في أن تصمت بنات حواء وأن تُكمَّ أفواههنّ؟ إنها الحيّة القديمة، التي هاجمت المرأة في الجنّة. لكن الله يقف إلى جانب المرأة، ونسلها سيسحق رأس الحيّة.**

والذين يؤيّدون مشاركة الأخوات في العبادة بكلمة أو ترنيمة، أو بعظة أو بشهادة حياة، يُتّهمون أحيانًا بالنسوية أو بالعالمية. وعلى ذلك لا بدّ أن أردّ: في الحالة المرجّحة جدًا أن هاتين الآيتين تنقلان قانونًا دنيويًا يريد أن يُقصي النساء عن الحياة العامة، ومن ثَمّ يميّز ضدّهنّ، فمن يكون عندئذ العالميّ في هذه المسألة؟

إن كانت النساء لا يزلن يصمتن في الاجتماعات حتى اليوم بسبب وصية دنيوية من القرن الأول أو الثاني، وجدت طريقها إلى الكتاب المقدس بطريقة مخادعة، فهذه فضيحة مأساوية!

9 هل هناك منع للأخوات من التعليم؟

إزاء الطريقة التي عامل بها بولس ويسوع النساء، ما كان ليخطر ببالنا أنه لا يجوز للنساء أن يعلّمن. فهنّ من الذين يستطيعون أن يقدّموا تعليمًا في العبادة (1 كورنثوس 14: 26)، ومن اللواتي يعلّمن كما علّمت بريسكا أبلّوس (أعمال الرسل 18: 26)، أو اللواتي ينبغي أن يكنّ معلّمات الصلاح (تيطس 2: 3). وهنّ، مثل الرجال، من الناس الذين ينقلون ما تعلّموه بأن يعلّموا هم أيضًا آخرين (2 تيموثاوس 2: 2). وموهبة التعليم الروحية أيضًا غير مقصورة على الرجال (رومية 12: 7).

يسوع يريد أن تعلّم النساء كما يعلّم الرجال تمامًا: (متى 28: 19-20) فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس **وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به.**

لكن، كما في منع الكلام، لا يوجد إلا نصّ كتابي **واحد فقط** يُفهم بالضبط على أنه يعني أن النساء لا يجوز لهنّ أن يعلّمن ولا أن يقدن أو يمارسن سلطة. وتختلف الآراء في ما إذا كانت هذه الآيات تتعلّق بالعبادة وحدها، أو تشمل كل مجالات الحياة. ولو وُجدت وصية صمت في العبادة لحسمت معظم هذه المسألة: من لا يجوز له أن يتكلّم، لا يستطيع أن يعلّم هناك أيضًا.

والمقطع المذكور في 1 تيموثاوس يتعلّق بوضع تاريخي مأزوم في أفسس لا نعرفه بدقّة. فليس بين أيدينا إلا هذه الرسالة، أي جانب واحد من القصة. وعلينا أن نراعي ذلك قبل أن نستخلص من عدم المعرفة أو من السكوت استنتاجات ونقدّمها وصايا ملزمة لكل الأزمنة. ومن هذه الناحية لم تُكتب الرسالة إلينا، بل لأجلنا. أما المرسَل إليهم ففهموا كل شيء في وضعهم. وكان ينبغي أن نستعين بالمقطع كله من الآية 8 إلى 15، لكننا نقتصر على الآيات 11-14. وفي نهاية هذا الفصل يأتي نقل للمقطع كله بحسب معناه.

> [1 تيموثاوس 2: 11-14] لتتعلّم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تعلّم ولا تتسلّط على الرجل، بل تكون في سكوت، لأن آدم جُبل أولًا ثم حواء، وآدم لم يُغوَ، لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدّي.

الجملة التي تقول إن على المرأة أن تتعلّم هي الوحيدة في هذا المقطع بصيغة الأمر، وهي فوق ذلك ثورية. فالتعليم لم يكن متاحًا لمعظم النساء، ولا مرغوبًا فيه. وهنا يكمن مفتاح لهذه التوجيهات. فالمرأة – ولا يمكن أن يكون المقصود هنا إلا امرأة معيّنة («لامرأة») أو مجموعة من النساء – ينبغي أن تتعلّم بقلب مستعدّ للقبول. لكي لا تعلّم بنصف معرفة أو بتعاليم خاطئة، يُذكر كثير منها في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، بموقف متسلّط، أو تظنّ أنها تعلّم زوجها.

كلمة «تتسلّط» هنا لا تعني قيادة روحية ولا سلطة تعليمية. فالكلمة اليونانية لا ترد إلا مرة واحدة في العهد الجديد، وكانت تعني في لغة الحياة اليومية آنذاك أمرًا سلبيًا. وهناك كلمات أخرى يستعملها بولس للتفويض أو السلطة. ولذلك تصف في الرسالة إلى تيموثاوس انحرافًا، سلوكًا سلبيًا ومهدِّدًا بل ومتعدّيًا. وكان بولس سيمنع الرجال من الشيء نفسه. لكن الأمر هنا كان مشكلة نساء بعينها. **التعليم والتسلّط** ليسا تركيبة مقصودة، بل تركيبة خاطئة، لا نعرف بدقّة حتى ما يمكن أن يُقصد بها. لأن ما كانت عليه المشكلة المقصودة بالضبط، لا نستطيع إلا أن نحاول إعادة بنائه من هذه الكلمات. **سلطة التعليم تنتج من تعليم التعليم الصحيح، ومن موهبة التعليم، ومن موافقة الكنيسة وقيادتها ودعمهما.**

وبترجمة أدقّ تقول العبارة: لست آذن الآن للمرأة ... وبذلك يخاطب هذا النصّ وضعًا محليًا كان يمكن أن يتغيّر إلى الأحسن حين تكون المرأة قد أدّت واجبها في التعلّم. والحثّ على هذه التصحيحات بالذات هو سبب الرسالة كلها، التي تتناول عدّة أشخاص معيّنين وتعاليم خاطئة (1 تيموثاوس 1: 3-6؛ 1: 19-20؛ 4: 1-10؛ 5: 13-16؛ 6: 3-10؛ 6: 20-21).

ثم يورد بولس باختصار قصة آدم وحواء. مقارنةً ومثالًا. لا ليصف أولوية لآدم. ولا ضعفًا أكبر أو قابلية أكبر للتجربة لدى حواء، ومن ثَمّ لدى كل النساء، سببًا لمنع التعليم. فكون آدم خُلق أولًا لا يؤسّس دوره القيادي، ومن ثَمّ نظامًا للخليقة قبل السقوط، بل هو ببساطة يذكر الترتيب الفعلي. وبكلمات أخرى: بولس لا يقول إن النساء لا يجوز لهنّ أن يعلّمن لأن آدم خُلق أولًا. فالكلمة الصغيرة «لأن» في النصّ الأصلي هي أحيانًا، لكن ليس دائمًا، بداية تعليل، بل هي، كما في مواضع أخرى، ببساطة بداية مقارنة وصورة من العهد القديم.

المرسَل إليهم وحدهم كانوا يعرفون بالضبط لماذا يورد بولس آدم وحواء في هذا السياق. ونحن نرى التفسيرات التالية ممكنة ومفهومة، من غير أن نستخلص منها

استنتاجات بعيدة المدى:

في التعاليم الغنوصية التي كانت منتشرة في أفسس، اختلطت قصة الخليقة الكتابية بعناصر وثنية، ولا سيّما بالغنوصية (6: 20). وهذه كانت تُبرز حواء بوصفها الأولى، وبوصفها القوة الأنثوية التي نفخت النفس في آدم. وربما كان هذا الذكر، مع التشديد على الترتيب، تصحيحًا. وعبادة أرطاميس، التي كانت تطبع الحياة في مدينة أفسس، ستكون قد لعبت دورًا بما يرافقها من أساطير وتعاليم وممارسات. وكان ذلك تهديدًا للكنيسة. صحيح أن ذلك لا يُذكر هنا، لكن المرء ينال في أعمال الرسل 19 انطباعًا حيًّا عنه. وكان بولس يعرف هذه الأخطار جيدًا، فقد مكث في أفسس مدّة كافية.

حواء لم تُخلق بعد آدم فحسب، بل من آدم ولأجله، لتكون شريكة معينة ندًّا له، تشاركه كل شيء. وحين تقترب منها الحيّة تُخدع، لأنها على ما يبدو أرادت أن تواجه هذا الموقف وحدها. لا تلجأ في هذا الخطر المصيري إلى شريكها لكي يواجها هذا التحدّي معًا. وهكذا ينبغي للنساء في أفسس، وفي النهاية لكل النساء، ألّا يتجاوزن شركاءهنّ، بل أن يعملن معهم، وأن يتعلّمن منهم إن لزم الأمر.

تلقّى آدم الوصية بشأن الثمرة المحرّمة قبل أن تكون حواء. وبهذا المعنى كان على حواء أن تسمعها من زوجها. وربما خُدعت حواء لأنها لم تُصغِ جيدًا بما يكفي. وكان هذا تحذيرًا لبعض النساء في أفسس أن يتعلّمن، وأن يتأسّسن في تعليم الإنجيل وتعليم ربنا يسوع المسيح. **عندئذ فقط يستطعن أن يعلّمن، والرجال أيضًا.** آدم لم يُخدع، فقد عرف الوصية من مصدرها الأول، مباشرة من الله، وأخطأ وهو يعرف تمام المعرفة. وخطيته، كما رأينا في سفر التكوين، لم تكن إغواءً، بل خطيئة بعينين مفتوحتين، أي بمعرفة كاملة وموافقة.

ما دامت رسالة بولس تهدف إلى محاربة التعليم الخاطئ (من 1: 3)، فلماذا تُقرأ 2: 12 منعًا للتعليم الصحيح على يد النساء، لا منعًا للتعليم الخاطئ على يد النساء؟

تعليم الخطأ بطريقة غير لائقة كان مشكلة ملموسة لدى امرأة، أو لدى عدّة نساء، في أفسس. لكن من الواضح أن الرجال أيضًا لا ينبغي أن يفعلوا ذلك. فكل الذين تعلّموا الحقّ ينبغي أن يعلّموا آخرين بروح الخدمة.

وفي ما يلي نقل شارح لـ1 تيموثاوس 2: 8-15. هكذا كنت سأعيد صياغة هذا النصّ الصعب باختصار:

عزيزي تيموثاوس، لكي تُضبط المشكلات في أفسس مع بعض الرجال وبعض النساء وتعاليمهم الخاطئة، يجب أن يحدث ما يلي: على الرجال أن يبدؤوا بالصلاة. في كل مكان يلتقون فيه. وعلانية أيضًا. بدلًا من الجدال حول الأساطير والتعاليم الخاطئة. فالغضب والخصام يعيقان الصلاة. والصلاة المشتركة تقود إلى حياة هادئة مسالمة وإلى عيش مشترك هادئ. بأيدٍ مرفوعة، مفتوحة ومستقبِلة، طاهرة من الخصام والعنف، ليسجدوا معًا لإلهنا المخلّص، وليتشفّعوا لأجل جميع الناس أمام عرش الله.

وطبعًا ينبغي للنساء أيضًا أن يصلّين، كما يصلّي الرجال تمامًا. ومن المهمّ في ذلك أن تُظهر النساء، وأعني قبل كل شيء النساء الغنيّات، التواضع حيثما ظهرن ورآهنّ الناس. فزينتهنّ، التي تلفت انتباه الرجال وانتباه النساء أيضًا إليهنّ، ليتفوّق بعضهنّ على بعض، لا ينبغي أن تكون في تسريحات شعر متكلّفة لافتة، ولا في حُليّ الذهب واللآلئ، ولا في ثياب غالية غريبة. فالنساء اللواتي يتبعن المسيّا لا يحتجن إلى أن يتصدّرن المشهد هكذا، أو أن يمارسن بهذه الطريقة نفوذًا وسيطرة. فهناك زينة ونفوذ أثمن، يحترمهما جميع الناس أيضًا: الأعمال الصالحة.

على المرأة أن تتعلّم ما هو حقّ الإنجيل. مستعدّة للتعلّم، منتبهة، متعطّشة إلى المعرفة. في بيتها. ولبعض هؤلاء النساء خاصّةً لا آذن الآن أن يواصلن نشر كل هذه الأساطير والتعاليم الخاطئة. لا ينبغي أن يرتفعن فوق أزواجهنّ ويتسلّطن عليهم بتعالٍ ويعلّمنهم. بل ينبغي أن يُصغين حين يشرح لهنّ أزواجهنّ، أو رجال الكنيسة، التعليم الصحيح. لأنهنّ في حاجة إلى ذلك، إذ تنقصهنّ المعرفة، وهذا الجهل يُحدث ضررًا كبيرًا حين ينشرن الأساطير في البيوت.

وخلق آدم وحواء هو بالضبط المثال الملائم لذلك. آدم خُلق أولًا، وهو الذي كان عليه أن يعلّم حواء. هو لم يُخدع. لكن حواء خُدعت وضُلّلت. وفي التجربة لم تلجأ إلى شريكها. إن لم تتعلّم النساء عن طيب خاطر، فسيُخدعن مثل حواء ويصرن فخًّا لغيرهنّ. وإن لم تتعلّم بعض النساء في أفسس من أزواجهنّ، فسيحدث الشيء نفسه. وحين يكنّ قد تعلّمن فقط، يجوز لهنّ أن يعلّمن آخرين أيضًا، والرجال أيضًا.

ولتعلم هؤلاء النساء أنهنّ سيُحفظن في ولادة الأولاد. على الرغم من إغواء حواء ومن أخطار الولادة الكبيرة. الله وحده، مخلّصنا، يخلّص، لا إلهة أفسس الحامية التي صنعها البشر، أرطاميس. لذلك ليركّزن على الإيمان والمحبة والقداسة. معًا زوجين، هما مثل آدم وحواء جسد واحد. لا ينبغي أن تخاف النساء من إنجاب الأولاد. ولا يجوز لأحد أن

يمنعهنّ من الزواج. وعلى الرجال أن يضبطوا أنفسهم جنسيًا، وأن يتذكّروا أن كثرة الحَبَل خطر على زوجاتهم.

10 الكهنوت العامّ

في جنّة الفردوس كان آدم وحواء، في براءتهما قبل السقوط، ملكين يتسلّطان، وكاهنين يعيشان في حضرة الله. معه ولأجله. والعمل والحفظ كلمتان استُعملتا لاحقًا لخدمة الكهنة (التكوين 2: 15).

جنّة الفردوس في عدن صورة لقدس الأقداس في الهيكل. وعدن الجديدة الأفضل، أي الأرض الجديدة، ستكون قدس أقداس شاملًا يعمّ العالم كله. فالأرض كلها ستكون جنّة فردوس. ولذلك فإن أورشليم الجديدة، صورة الخليقة الجديدة، على شكل مكعّب هائل (الرؤيا 21). وهذا يوافق الشكل نفسه لقدس الأقداس في الهيكل. الأرض الجديدة يسكنها نساء ورجال، ملوك وملكات، كهنة وكاهنات.

هل ستكون هناك هرمية في العلاقة بين الرجل والمرأة؟ يرى بعضهم: لا، لأنها الخليقة الجديدة. والهرمية في رأيهم لا تسري إلا على الخليقة القديمة الساقطة. لكن الخليقة الجديدة قد بدأت في الكنيسة منذ الآن. وفيها يصير هذا المستقبل منظورًا منذ الآن في سلوكنا بعضنا مع بعض. فلماذا تبقى إذن في الكنيسة هرمية لم يُرِدها الله؟ **في كنيسة يسوع لا يُحسب إلا الخضوع المتبادل الطوعي.**

لقد أعاد الإصلاح البروتستانتي هذه الحقيقة، حقيقة الكهنوت العامّ، إلى النور. لكنها في الممارسة الكنسية لم تنعكس، أو بالكاد انعكست. لا أحد، ولا حتى الكنيسة الكاثوليكية، يشكّ في الكهنوت العامّ للمؤمنين. والسؤال هو ماذا تعني هذه الحقيقة عمليًا لحياة الكنيسة. فكون كل مؤمن، امرأة ورجلًا، كاهنًا، كان ينبغي أن يكون وحده سببًا كافيًا لأن يكون للجنسين في العبادة الدور نفسه أو الخدمات نفسها. لكن هيهات. فالكهنوت العامّ يُعاش من جهة على المستوى الشخصي. فالصلاة والشركة مع الله بركة شخصية فردية. ونموذج الكهنوت وما يرتبط به من خدمة الذبائح يأتي من العهد القديم، حيث كان الكاهن يقود العبادة ويقدّم الذبيحة. **لذلك من الطبيعي أن نفكّر، في الكهنوت العامّ، في اجتماع المؤمنين أيضًا، الذين يدخلون معًا إلى المقدس السماوي ساجدين.** ويقدّمون معًا عند مائدة الرب، المذبح الروحي، ذبائح الحمد الروحية. أيمكن، أو أيجوز، أن تكون هناك فوارق بين الجنسين؟ **كلمة الله لا تضع هذه الفوارق في العهد الجديد. فلا ينبغي إذن أن نضعها نحن.**

في العهد القديم كان الرجال وحدهم كهنة. لكن لم يكن كل رجل يستطيع أن يكون كاهنًا أو لاويًّا. كان يجب أن يولد المرء لاويًّا، وليكون كاهنًا كان يجب أن يكون من عائلة هارون. وفوق ذلك أن يكون طاهرًا طقسيًا، وألّا يكون فيه عيب جسدي.

وبالمناسبة كان عمل الكاهن، كعمل الجزّار، عنيفًا ومرهقًا. فتقطيع الحيوانات في حرّ الشرق الأدنى كان عملًا يُسيل العرق، وكان الأفضل أن يقوم به الرجال، الذين هم ببساطة أقوى من النساء في المتوسط. وهذا النوع من العمل الكهنوتي في العبادة لم يعد موجودًا اليوم.

ويجب أن نلاحظ أيضًا أن نشوء كهنوت لاويّ خاصّ (ذكوريّ) هو نفسه علامة على إخفاق إسرائيل، إذ لم ينشأ إلا بعد أن أُغوي الشعب بالعجل الذهبي إلى عبادة الأوثان (الخروج 32)، التي لم يثُر عليها إلا اللاويّون (الآيات 26-29). **كان قصد الله الأول لشعبه أن يكونوا كلّهم «مملكة كهنة» (الخروج 19: 6)، وهي رؤيا تتحقّق الآن في المسيح وبالمسيح (الرؤيا 1: 6؛ العبرانيين 13: 15). لقد بلغ الله غايته: النساء والرجال الآن كهنة لله.**

وحياتنا، لا حياة الرجال وحدهم، بل حياة الرجال والنساء، ينبغي أن تكون ذبيحة حيّة لله – فالحياة كلها خدمة كهنوتية (رومية 12: 1-2).

11 هل يجوز للأخوات أن يكنّ شيخات؟

إن لم تكن هناك وصية صمت عامّة، ولا منع عامّ للأخوات من التعليم، فهل يجوز لهنّ عندئذ أن يكنّ شيخات؟

بعض الكنائس لها شيوخ رسميّون، وكل عضو في الكنيسة يعرف من هو الشيخ. وهناك كنائس لا تتكلّم إلا عن خدمة الشيوخ، وهذا لا يُحدث فرقًا من حيث المبدأ حين يتعلّق الأمر بما تقوم عليه أعمالهم: التعليم، وحماية القطيع وقيادته، والرعاية، والإشراف، والإرشاد الروحي.

كل إنسان ابن زمانه، إلا إن عاش في عزلة تامّة. والأزمنة تتغيّر، وأحيانًا إلى الأحسن. ماذا أريد أن أقول بذلك؟ أن رسائل العهد الجديد كُتبت في زمن كان فيه النظام الأبوي هو النظام الأساسي للمجتمع. كانت المرأة تُعتبر أقلّ قدرة وأدنى قيمة من الرجل، ولذلك لم تكن حاضرة في الحياة العامّة. لم يكن للنساء حقّ التصويت. وهذا التمييز بالذات، صغيرًا كان أم كبيرًا، هو ما دخل بالسقوط.

لقد رأينا **أن يسوع وبولس لم يتكيّفا مع روح العصر، بل أعطيا النساء الكرامة التي لهنّ بوصفهنّ حاملات لصورة الله.** ومع ذلك فإن الرسل ومعاونيهم، على حدّ علمنا، لم يقيموا على الأرجح إلا شيوخًا من الرجال. وهذا مفهوم تمامًا. **كان عليهم أن يبدؤوا بما هو موجود، بالموضع الذي يعيش فيه الناس في ثقافتهم، لا بالموضع الذي يودّ المرء أن يكونوا فيه.** لكن هذا لا يعني أنه يجب أو ينبغي أن يبقى الأمر هكذا دائمًا. ففيبي من كورنثوس (رومية 16: 1) ليست إلا استثناءً كان ممكنًا منذ أيام بولس. فالقيادة في حدّ ذاتها ليست شأنًا رجاليًا. بل هناك دراسات واسعة تُظهر أن النساء هنّ القائدات الأفضل. لا أستطيع أن أحكم في ذلك، لكنه يوضّح من حيث المبدأ أنه لا توجد لدى النساء أي قيود ذهنية أو فكرية.

لكن ماذا يقول العهد الجديد؟ هناك إشارة مهمّة في هذه المسألة في 1 تيموثاوس 3: 1، تكاد لا تُلاحَظ:

> صادقة هي الكلمة: إن ابتغى أحدٌ خدمة الناظر (الأسقفية)، فيشتهي عملًا صالحًا.

تأتي هذه الآية مباشرة بعد المقطع الذي كان يدور حول التعليم الخاطئ والتسلّط على يد امرأة. **هذه الآية لا تبدأ مقطعًا جديدًا، بل هي خاتمة 2: 8-15.** فالمقاطع وأرقام

الآيات والعناوين لم تكن موجودة في الكتابات الأصلية. الآية 1 من الأصحاح 3 تعود إلى المرأة أو النساء في 2: 11-15. فهي لا تقول: إن ابتغى رجلٌ مثل هذه الخدمة. بل يمكن أن تعني بالقدر نفسه: إن ابتغت امرأة أو نساء مثل هذه الخدمة. **فكلمة «أحد» محايدة، لا مذكّرة ولا مؤنّثة.**

أراد بولس أن تتعلّم النساء أولًا بأنفسهنّ قبل أن يعلّمن آخرين. وأن لا ينتزعن كفاءة التعليم لأنفسهنّ بتسلّط، حتى بعد أن يتعلّمن. وعندئذ كنّ يستطعن أن يدخلن خدمة الناظر أو الشيخ هذه، أو أن يُدعين إليها. فمع النضج والكفاءة اللازمين كانت هذه الخدمة مفتوحة لهنّ (لا فقط حين لا يوجد رجال). بولس يفتح هنا الباب للنساء، وكان يعرف منذ زمن نساء كهؤلاء معاوناتٍ له.

ثم تأتي المؤهّلات اللازمة. ومنها يُستفاد أن الرجال أيضًا، بطبيعة الحال، ينبغي أن يمارسوا هذه الخدمة. والرجال ينبغي أن تكون لهم زوجة واحدة فقط. وللنساء اللواتي أردن أن يكنّ شيخات كان يسري الشيء نفسه. **فالضمائر محايدة من بداية القائمة. و«بعل امرأة واحدة» كانت آنذاك عبارة تدلّ على الأمانة الزوجية، وعلى الزواج الأحادي أيضًا، لا على اشتراط أن يكون الشيوخ رجالًا فقط.**

في ذلك الزمن كان الرجال، بوصفهم pater familias (ربّ الأسرة)، يرأسون البيت. وأن يكون المرء جيدًا في ذلك كان من المؤهّلات التي يمكن أن تنطبق على النساء أيضًا (1 تيموثاوس 5: 14 – تدبير البيت). وبولس يطلب في رسائله كل هذه الصفات من النساء أيضًا. فلا هذه المؤهّلات، ولا خدمة الناظر في حدّ ذاتها، شأن رجالي محض.

النساء أيضًا يجوز لهنّ أن يبتغين هذا العمل الصالح!

أما خدمة الشمّاس فالنقاش حولها أقلّ: فالآية 11 تُظهر أن النساء أيضًا ينبغي أن يكنّ شمّاسات.

إن إقصاء النساء عن قيادة الكنيسة يعني أن يضرّ المرء نفسه (أفسس 5: 29). وللأسف أدّى إقصاء الأخوات عن دوائر القيادة وعن «اجتماعات الإخوة» (Brüderstunden) أيضًا إلى أن رجالًا قليلي التأهيل أو غير مؤهّلين دخلوا في كثير من الأحيان قيادة الكنائس. ولا حاجة إلى وصف الضرر الناتج عن ذلك هنا.

الروح القدس يهب الرجال والنساء موهبة القيادة والتدبير (1 كورنثوس 12: 28؛ رومية 12: 8). فلنبدأ بالبحث عن مثل هؤلاء النساء، وأن نشجّعهنّ وندعوهنّ إلى مثل هذه

الخدمات. والخطوة الأولى البسيطة قد تكون أن تُعقد اجتماعات القيادة مع زوجات القادة الرجال.

إن كان بطرس وبولس يريان أن قيادة الكنيسة محفوظة للرجال وحدهم، فلماذا تتوجّه تعاليمهما عن مواهب القيادة إلى الرجال وإلى النساء معًا، من غير أن يوضّحا هذا القيد؟ إن التعاليم عن المواهب الروحية تُظهر أنه لا فرق بين الرجال والنساء في العهد الجديد في ما يتعلّق بقيادة الكنيسة.

ولا يناقض ذلك أن يسوع اختار اثني عشر رسولًا ليكونوا الرسل المؤسّسين لحركته الجديدة. نعم، كانوا جميعًا يهودًا وأحرارًا وذكورًا. **لكنه عيّنهم في زمن انتقالي، قبل تدشين العهد الجديد. وعلى غرار الآباء الاثني عشر رمزوا إلى استعادة شعب الله بوصفهم أتباعًا ليسوع.**

لا جدال في أن قادة الكنائس اللاحقين، بعد يوم الخمسين، في عصر الروح، كان يمكن أن يكونوا من غير اليهود أو من العبيد. فكون الاثني عشر يهودًا وأحرارًا ليس حجّة ضدّ مثل هؤلاء القادة. وكذلك ليست ذكورة الرسل الاثني عشر حجّة ضدّ أن يكون القادة اللاحقون نساءً.

لو كان مهمًّا عند الرسل ألّا يكون للنساء مكان في خدمة القيادة، لقالوا ذلك. لكن إقصاء النساء لم يُلمَّح إليه في أي موضع، ولو تلميحًا.

وفي الختام كلمة عن الاعتراض القائل إن هذا كله مساواة تمحو الفوارق وإلغاء للفوارق بين الرجل والمرأة التي وضعها الخلق. أعترض على ذلك بوضوح، لأن آدم لم يُعطَ آدمَ ثانيًا إلى جانبه، بل حواء. فلها ما ليس له. وممَّا يكمّل أحدهما الآخر، من غير خضوع أو تفوّق هرمي أو متعلّق بالمكانة.

إن الفوارق بين الرجل والمرأة جليّة لا يمكن تجاهلها. وكلمة «مساواتي»، أي المساواة بين الرجل والمرأة، قليلة النفع في هذا النقاش. فالأمر هنا لا يتعلّق بما يميّز كون الإنسان رجلًا عن كونه امرأة، والعكس، بل باستبعاد فارق في المرتبة غير كتابي، به تُقيَّد خدمة المرأة في الكنيسة أو تُمنع أصلًا. **إن تضييق خدمة النساء يعني في النهاية مقاومة الروح القدس.**

12 غطاء الرأس – أما زال اليوم؟

ما يسمّى غطاء الرأس لا يرد في العهد الجديد إلا في 1 كورنثوس 11: 2-16. ومن الواضح أنه كان موضوعًا خلافيًا في كورنثوس. وهنا أيضًا لا نعرف الخلفيات لدى المرسَل إليهم. فأهل كورنثوس فهموا كل جملة كتبها بولس في ذلك. ومحاولتي للتفسير واحدة من محاولات كثيرة. ويبقى النصّ صعبًا بالنسبة إلينا. ولكي تتتبّعي ذلك، أطلب منكِ، أيتها الأخت العزيزة، إن كنتِ تغطّين رأسك، أن توضّحي لنفسك مرة سبب ذلك من هذا المقطع. **لماذا وأين ومتى تغطّين رأسك (إن كان هذا ينطبق عليك)؟**

المقصود هنا أن نطبّق نصّ بولس هذا، الذي لم يُكتب إلينا بل لأجلنا، وأن نجيب عن السؤال: هل هو ملزِم اليوم، وإن كان كذلك، فكيف؟

كثيرًا ما يُشرح هذا المقطع هكذا: الرجل، أو الزوج، هو رأس المرأة، وله دور القيادة المؤسَّس في الخلق. والمرأة، أو الزوجة، تعبّر عن ذلك علانية في الصلاة والتنبّؤ بأن يكون على رأسها شيء، غطاء للرأس (اليوم: منديل، قبّعة، خمار وما إلى ذلك). أما أي قطعة لباس كان المقصود بها للتغطية، فيبقى سؤالًا مفتوحًا. وعلى الأرجح كان الطرف الطويل من الثوب الخارجي يُلقى عند الحاجة حول الرأس وفوقه.

السؤال الأول هو: أين تُطلب التغطية؟: في العبادة أم خارجها؟ المقصود **أين** تصلّي الأخوات وتتنبّأ. في فصل سابق (الفصل 8) قلت إن ذلك يجب أن يتعلّق بالعبادة، أي بالمكان الذي يصلّي فيه الرجال والنساء معًا ويتنبّأون.

يُفترض عادةً أن بولس يحثّ النساء على أن يغطّين رؤوسهنّ، لأنهنّ أو بعضهنّ لم يعدن يردن ذلك. قد يكون هذا صحيحًا. لكنني، بسبب الآية 10، أميل إلى رؤية الأمر على العكس: **كان هناك رجال يطالبون بأن تنزع النساء غطاء رؤوسهنّ.** إما بوصف ذلك حرية مسيحية جديدة، وإما لدوافع غير أخلاقية، أي ليتمكّنوا من رؤية نساء الكنيسة وشعورهنّ على نحو لم يكن ممكنًا في غير ذلك، أو كان بالكاد ممكنًا. **لذلك يشجّع بولس النساء ويمنح كل النساء الحقّ (الآية 10) في أن يغطّين رؤوسهنّ.** لكن ليس من الضروري بالضرورة أن نجيب عن سؤال من طالب بماذا.

ويحسن أن يعرف المرء أي دور كان لغطاء الرأس في كورنثوس اليونانية وفي الإمبراطورية الرومانية في ذلك الزمن. كانت النساء المتزوّجات يلبسن دائمًا غطاءً للرأس في الحياة العامّة، لا في العبادة فقط. كان ذلك جزءًا من كرامتهنّ بوصفهنّ نساء متزوّجات، غير متاحات لرجال آخرين. على خلاف البغايا، والإماء أيضًا، اللواتي لم يكنّ يلبسن غطاء للرأس. بل كان ذلك محظورًا على الأخيرات. فالتغطية، وعلى الأرجح كانت رداءً يُلقى كالخمار، كانت حماية من جهة، وعلامة ولاء للزوج من جهة أخرى. كانت كرامة اجتماعية تتجلّى في هذه التغطية. **لم تكن مسألة الخضوع ذات صلة بغطاء الرأس. فالنساء كنّ خاضعات على أي حال في تلك الثقافة القديمة. لم يكن غطاء الرأس علامة خضوع، بل علامة انتماء، أي إلى زوجها. والخضوع ليس موضوع هذا النصّ من رسالة كورنثوس.** وما كان عرفًا اجتماعيًا حسنًا في كورنثوس، وفي كل مكان تقريبًا آنذاك، لا يزال كذلك اليوم في البلدان الإسلامية، لكن لم يعد كذلك عندنا في الغرب. فالرموز مثل غطاء الرأس لا يكون لها معنى إلا حيث يعرف المجتمع وثقافته ما تعنيه.

ويقدّم بولس في الآية 10 إعلانًا واضحًا لينظّم موضوع غطاء الرأس – **انتبهوا: في النصّ الأصلي لا يوجد شيء عن أن يكون على الرأس علامة سلطة أو قوة** (أي غطاء للرأس). وبالترجمة الصحيحة تقول الآية:

لهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها، من أجل الملائكة.

تُظهر هذه الآية أنه ربما طُرحت المطالبة بأنه لم تعد هناك حاجة إلى غطاء الرأس، لأن بولس يقول الآن: للمرأة أن تقرّر بنفسها ما إذا كانت تلبس غطاء للرأس. وذلك لكل نساء الكنيسة. وللواتي لم يتزوّجن أيضًا، وللمعتَقات، وللإماء، وللبغايا اللواتي آمنّ. بولس يمنح كل امرأة الكرامة في أن تغطّي رأسها في الكنيسة، أي في العبادة. ومن كانت ستُحسب أهلًا يومًا ما لأن تدين ملائكة (1 كورنثوس 6: 3)، يجوز لها بالتأكيد أن تقرّر هذا الأمر بنفسها.

وبذلك يجيب بولس أيضًا عن السؤال الذي نطرحه في القرن الحادي والعشرين حين يُقرأ هذا النصّ: كل امرأة تقرّر بنفسها ما إذا كان من المناسب لها أن تغطّي رأسها. لا زوجها، ولا رجال قيادة الكنيسة. واليوم يثير غطاء الرأس في العبادة لدى الغرباء الحيرة في الغالب. وهذا هو عكس ما كان يُحدثه في كورنثوس تمامًا. فغطاء الرأس اليوم قد تجاوزه الزمن بكل معنى الكلمة.

وما يبقى من هذا النصّ متجاوزًا للزمن، على خلاف التكيّفات الثقافية والزمنية، هو ما يلي:

- **«الرأس» لا يعني الرئيس أو القائد أو صاحب السلطة على غيره، بل الأصل والمصدر.**
- المسيح بوصفه رأسًا هو الأصل المكرَّم للرجل (بوصفه خالقه)؛ والرجل (آدم) بوصفه رأسًا هو الأصل المكرَّم للمرأة (حواء)؛ والله بوصفه رأسًا هو الأصل المكرَّم للمسيح (في تجسّده).
- **الرجال والنساء يصلّون ويتكلّمون نبويًا في العبادة.**
- كلّ يكرّم رأسه المكرَّم بوصفه مصدر وجوده وأصله، ولا سيّما في ثقافة الشرف والعار. العار والهوان لا يتعلّقان بالله، بل بالثقافة.
- **ينبغي أن يبقى الفرق بين الرجل والمرأة ظاهرًا.**
- الرجل والمرأة يعتمد أحدهما على الآخر، ويكمّل أحدهما الآخر من غير هرمية ولا فارق في القيمة أو المرتبة.
- **مجد الله وكرامته في المقدّمة. لا ينبغي لشيء في العبادة أن يصرف الانتباه عن الله.**
- يجمع بولس هذا الموضوع المتعلّق بالجنسين في جملة واحدة تعبّر بدقّة عن المساواة في المرتبة، كما تسري في الكنيسة المجتمعة أيضًا، في العبادة:
- لأنه كما أن المرأة هي من الرجل، هكذا الرجل أيضًا هو بالمرأة؛ ولكن جميع الأشياء هي من الله. [1 كورنثوس 11: 12]

وهذا المقطع المعقّد يتضمّن بطبيعة الحال أكثر بكثير من هذه الآية العاشرة وحدها (أو الثانية عشرة)، التي تقع في وسط المقطع تمامًا.

لذلك يأتي، كما في 1 تيموثاوس 2، نقلي الشارح للمقطع كله، كما كنت سأشرحه باختصار:

يهمّني أن تدركوا أنتم يا أهل كورنثوس أن أصل كل رجل، أي رأسه، هو المسيح، المسيّا. به خُلق آدم، ومعه كل الرجال. وأنتم بوصفكم رجالًا منتمون إليه.

ورأس المرأة هو الرجل. فمن جنبه كُوّنت حواء، لتصير معه وحدة واحدة. هو الرأس، وهي الجسد. الرجل أصلها، وهي أيضًا منتمية إليه، زوجةً معينةً ومكمّلة.

وهذه العلاقة نراها أيضًا عند المسيح. رأسه هو الله. هو ولده حين صار إنسانًا، ابنه المساوي له.

إذا صلّى رجل في كورنثوس في الاجتماع بصوت مسموع، أو تكلّم نبويًا، ورأسه مغطّى، فهذا أمر غير لائق. إنه يعطي المجد لنفسه، لا للمسيح رأسه. لأن عبدة الأوثان يغطّون رؤوسهم حين يقدّمون الذبائح للأوثان. والرجل المكشوف الرأس يُظهر التواضع ويعطي المجد للمسيح غير المنظور.

وعند النساء الأمر على العكس. فالنساء اللواتي يصلّين ويتكلّمن نبويًا في الاجتماع ولا يغطّين رؤوسهنّ، يجلبن العار على رؤوسهنّ. يهنّ أنفسهنّ وأزواجهنّ، أي رؤوسهنّ. لأنهنّ بشعورهنّ المكشوفة يلفتن الانتباه إلى أنفسهنّ، بدلًا من الله والمسيح.

إن طالب أحد بأن النساء لا حاجة بهنّ إلى أن يغطّين رؤوسهنّ، فهو لا يفكّر في الأمر حتى نهايته. لأنكم تعرفون أن المرأة المكشوفة الرأس في كورنثوس تُعدّ كالمحلوقة، وتشبه امرأة تمارس البغاء أو تسعى إلى لقاء جنسي. إن لم تتغطَّ أو تتستّر في الحياة العامّة، فينبغي منطقيًا أن تقصّ شعرها أيضًا، أو أن تحلقه كله.

أعرف أنكم لا تقصدون ذلك بمطالبتكم! لكن في المجتمع الذي تعيشون فيه، ستكون هذه هي النتيجة! لذلك لا تخاطروا بأن تصيروا عثرة للناس الذين يأتون إليكم ويرون كيف يُرفض عندكم العرف المألوف للتغطية في الحياة العامّة.

لا ينبغي للرجال أن يغطّوا رؤوسهم في العبادة، في حضرة الله. لأن الرجل صورة الله وانعكاس مجده. والمرأة أيضًا صورة الله، لكنها فوق ذلك انعكاس مجد الرجل أيضًا. فجمالها هو جمال زوجها، الذي خُلقت منه، والذي هي واحد معه.

كيف أمكن أن تصير مجده؟ بالتأكيد ليس لأنه خُلق منها، بل لأنها من جنبه كُوّنت. وهي ليست مجد الرجل لأنه خُلق من أجلها، بل العكس. هي خُلقت من أجله، لأنه كان وحده ويحتاج إلى معين.

لذلك، لأن المرأة لها هذه القيمة، ولأنها بركة عظيمة كهذه للرجل، ينبغي أن تقرّر بنفسها في شأن رأسها وأن تتصرّف فيه، فتغطّيه. لا يجوز لأحد أن يفرض عليها ذلك. لا زوجها، ولا قادة الكنيسة يجوز لهم أن يفرضوا عليها ألّا تلبس غطاء للرأس (أو أن

تلبسه). فهي ستدين يومًا ملائكة – فلا بدّ أنها تستطيع، ويحقّ لها، أن تقرّر في هذا الأمر.

لكن على المرأة، في استقلالها وحرّيتها في القرار، أن تراعي أنها ليست مستقلّة عن زوجها. فهي لا توجد من دون الرجل، والرجل أيضًا لا يوجد من دون المرأة. كانت فكرة الله دائمًا أن يكون الرجل والمرأة معًا وفي شركة. ففي وحدة الرأس والجسد يعملان معًا، متّفقَين، خاضعًا أحدهما للآخر، مكمّلًا أحدهما الآخر.

ماذا يعني أن الواحد لا يوجد من دون الآخر؟ تذكّروا مرة أخرى خلق الزوجين البشريين الأوّلين. المرأة جاءت في البدء من الرجل. من جنبه. وإليه أُحضرت، لتكون معه من جديد جسدًا واحدًا. لكن فكّروا أبعد من ذلك: كل رجل منذ ذلك الحين يأتي من امرأة. فلولا الرجل لما كانت امرأة، ولولا المرأة لما كان رجل. كلاهما متساويان في الكرامة، ومتساويان في القيمة، ومتساويان في المكانة، التكامل الكامل في اختلافهما. وكل هذا كان فكرة الله. هو الرأس الذي خرج منه ذلك كله.

إزاء ذلك أسألكم: هل من اللائق أن تصلّي امرأة إلى الله علانية، لكن مكشوفة غير مغطّاة؟ لا، ستوافقون، ليس كذلك بالنظر إلى العادات في كورنثوس وفي الإمبراطورية الرومانية. فهناك عادات وتقاليد هي عند الناس كقوانين الطبيعة. إن أرخى رجل شعره على خلاف العرف المألوف، يُعدّ ذلك عارًا. وهنا أيضًا الأمر عند النساء على العكس تمامًا. فشعر النساء الطويل هو مجدهنّ، وزينتهنّ الطبيعية التي يُنظر إليها هكذا. والشعر الطويل أُعطي لها كخمار أو رداء يزيّنها، لتكون مجد الرجل.

هذه الزينة، التي تبدو للرجال مرغوبة جدًا، ينبغي أن تغطّيها في الاجتماع. فهذا ليس المكان الذي تلفت فيه الأنظار بهذا المجد، كما ينبغي للرجل أن يُظهر تواضعه برأس مكشوف. لأن الأمر يتعلّق بكرامة الله والمسيح ومجدهما.

إن أراد أحد في كورنثوس أن يجادل في ذلك، ويشكّك في عادة غطاء الرأس هذه، فليُدرك أن هذا ليس الحال في أي مكان. أعني ما تريدونه من أن تفرضوا على النساء ألّا يلبسن غطاء للرأس. فلا كنيسة تمارس شيئًا كهذا، لذلك التزموا بما هو مألوف في شأن غطاء الرأس، وما هو لائق، وما لا يُعثر أحدًا.

13 الرجل رأسًا – خضوع من طرف واحد؟

لا أقلّ من سبع مرات يخاطب بولس وبطرس الزوجات بأن يخضعن لأزواجهنّ، حتى حين لا يكون هؤلاء مؤمنين ولا يتصرّفون بمحبة. في ذلك الزمن كان أمرًا عاديًا تمامًا، لا جديد فيه، أن تتصرّف النساء هكذا اضطرارًا. كان الزوج سيّد البيت. كان يحكم، وكان الجميع خاضعين له: الزوجة (أو الزوجات)، والأولاد، والعبيد، وسائر ساكني البيت. والفيلسوف الكبير أرسطو كان قد رتّب البيت في العصر القديم هكذا، من الأعلى إلى الأسفل، بهرمية واضحة. هكذا كان يُعاش، وهكذا كان يعطي الإمبراطورية والمجتمع القديم استقرارًا ونظامًا. ولم يكن يُتسامح مع أي خروج عن ذلك. لم يكن هذا هو المثال الكتابي، لأن هذا المثال يصف الرجل والمرأة شريكين ندّين، بلا هرمية. لكن الأمر صار هكذا، كما كان متوقّعًا بعد السقوط (التكوين 3: 16). وعلى هذا البناء الاجتماعي بالذات يلتقي الإنجيل في الإمبراطورية الرومانية كلها.

لماذا يُشدَّد على الخضوع إلى هذا الحدّ، وهل يسري اليوم بالطريقة نفسها؟ كثير من النساء كنّ يعشن دورهنّ عبئًا ثقيلًا لا مخرج منه. وكنّ يتكيّفن قدر الإمكان. كنّ في الغالب أصغر سنًّا من أزواجهنّ بكثير، وكنّ ملكًا لهم، بلا صوت، وبالكاد بحرّيات، وبلا حقوق. لم يكن هناك زواج عن حبّ! كان الخضوع عبئًا وإكراهًا أكثر منه فرحًا. أما الآن، بوصفهنّ معترفات بيسوع، فقد دخلن في علاقة حيّة مع يسوع المسيح. معه يعشن الآن، ويستطعن الآن أن يتعلّمن أن يخضعن لأزواجهنّ من القلب كما للرب. والحرية التي جلبها لهنّ الإنجيل، والكرامة التي ردّها إليهنّ بوصفهنّ نساء، لم يكن يجب أن تصيرا سببًا للتمرّد على أزواجهنّ. فالرسل يحرصون حرصًا كبيرًا على ألّا يصير الإنجيل بسبب هذا السلوك سيّئ السمعة في مجتمع ذلك الزمن.

والأزواج بوصفهم أسياد البيت يظهرون في هذا العالم القديم رأسًا للمرأة. وكما قيل، ليس هذا هو المثال الكتابي، بل واقع حياة لا يُقيَّم أكثر من ذلك. لكنه يُعاد تعريفه. فالعهد الجديد لا يأمر الرجال في أي موضع بأن يحكموا حكمًا جيدًا أو أن يتسلّطوا بحكمة. فكون الرجل رأسًا ينال تعريفًا جديدًا تحت قدوة الرب يسوع المسيح (أفسس 5: 21-33): الرأس، أي الزوج، ينبغي أن يحبّ زوجته كنفسه، أن يحبّها حتى بذل الذات. ينبغي أن يقوتها ويربّيها.

حين كانت هذه الكلمات تُقرأ على الكنيسة البيتية المجتمعة، كان كل ساكن في البيت القديم مخاطَبًا مباشرة. وكان هذا وحده أمرًا غير مألوف. لكن ليس هذا فحسب، فما طلبه بولس من الرجال كان ثوريًا. فمثل هذا السلوك بين الزوجين، وتجاه الأولاد والعبيد، جعل البناء الأبوي للبيت نوعًا من «نظام أبوي قائم على المحبة». وهكذا بدأ البناء بين الرجل والمرأة يقترب مما أراده الله في البدء. من غير أن يهاجم البنى الاجتماعية آنذاك. فهذا كان سيضرّ الإنجيل أبلغ الضرر. فهذه البنى الراسخة في العالم الساقط تُخترق وتُليَّن وتتغيّر بمحبة المسيح.

والأمر نفسه كان يسري على العبيد الذين اهتدوا. كان عليهم أن يخضعوا لسادتهم. واليوم لا يخطر ببال أحد أن يبرّر العبودية بكلمات الرسل هذه. لكن المسيحيين فعلوا ذلك أيضًا حتى القرن التاسع عشر. ففي العصر القديم كانت العبودية جزءًا ثابتًا من المجتمع لا غنى عنه لوجوده. ولم يعد ذلك يُتصوَّر عندنا اليوم. لم تكن العبودية قطّ مشيئة الله – فهي احتقار للإنسان. ومع ذلك فالعبد الذي اهتدى مدعوّ الآن إلى أن يخدم من القلب، كأنه يخدم الرب. وكذلك يُدعى السادة إلى أن يتصرّفوا بلطف تجاه عبيدهم، ولا سيّما لأن كثيرين منهم صاروا الآن إخوتهم. ففي المسيح لم يعد هناك أحرار وعبيد.

وكون الرسل خاطبوا نظام البيت القديم في هذه التركيبة (الزوج، الزوجة، الأولاد، العبيد) يوضّح أن هذه التوجيهات لم تُكتب إلينا، بل لأجلنا. والفرق هو أن بناءنا الاجتماعي اليوم لم يعد يعرف العبودية، ولا البيت القديم بربّه pater familias، أي ربّ البيت الحاكم. فالرجل والمرأة متساويان في الحقوق قانونًا. ولا يسعنا إلا أن نشكر على ذلك. وهناك اليوم سكن مشترك كثير، وبيوت كثيرة يسكنها شخص واحد، ودور للمسنّين، لم تكن موجودة آنذاك، ولذلك لا توجد توجيهات مقابلة لها من الرسل.

يوضّح بولس أن ربّ الأسرة pater familias ليس هو حاكم البيت، بل المسيح هو الرب على الجميع. فالجميع مسؤولون أولًا أمام هذا الرب السماوي.

فماذا نفعل الآن بهذه التوجيهات؟

من الآراء المنتشرة على نطاق واسع أن خضوع المرأة متأصّل في نظام الخليقة. لكن النظام الحسن الوحيد هو ذاك الذي كان قبل السقوط. بلا هرمية، وبلا رئاسة للرجل، وبلا خضوع من طرف واحد للمرأة. فبعد السقوط فقط نشأت الفوضى التي يتسلّط فيها الرجل على المرأة من غير حقّ ومن غير تفويض. لا أقول إن هذا كان سيّئًا دائمًا

ومن حيث المبدأ، لكن لا أحد يتمنّى أن يعود، كما لا يتمنّى أحد عودة العبودية. وهكذا يجب علينا فعلًا أن نفهم هذه الكلمات الكتابية على خلفيّتها التاريخية أيضًا.

وهذا لا يعني، كما قد يستنتج المرء بسرعة، أن المرء لم يعد يأخذ كلمة الله على محمل الجدّ. بل على العكس، حين تُعاش توجيهات الخضوع والمحبة هذه هكذا، فإنها توافق المثال الإلهي. لكن هناك طريقًا أفضل يقترحه بولس وبطرس نفساهما. فبولس يتكلّم عن الخضوع المتبادل (أفسس 5: 21)، ثم يورد علاقة الزواج مثالًا يُطبَّق فيه ذلك. **وفي الواقع ينبغي للزوجة أيضًا أن تحبّ زوجها، مع أن هذا لا يُطلب في العهد الجديد إلا مرة واحدة. وكذلك ينبغي للزوج أن يخضع لزوجته. هكذا يقول بطرس بعبارة «كذلك أيها الرجال»، حين يحيل في 3: 7 إلى 3: 1، حيث يدعو النساء إلى الخضوع. ويقول فوق ذلك إن علينا جميعًا أن نتسربل بالتواضع بعضنا نحو بعض (1 بطرس 5: 5).**

لا يمكن أن يُعاش الزواج اليوم كما في العصر القديم. وبعضهم يحاول ذلك في صورة مخفّفة. **لكن حين يُعلَّل الخضوع بنظام خليقة مفهوم فهمًا خاطئًا، فليس هذا كتابيًا، حتى لو نجح في الواقع**. فالخضوع المسيحي (أي الخضوع بين المؤمنين، بما في ذلك الأزواج والزوجات المؤمنون) ليس عبوديًا ولا مهينًا. إنه احترام متواضع، وفيّ، محبّ، وتعاون ودعم. وكالتواضع والوداعة ينبغي أن يكون الخضوع سمة طبيعية من سمات الشخصية المسيحية. وفي الحال المثلى ينبغي أن يكون متبادلًا.

كان لديّ عن نفسي انطباع، ولاحظته أيضًا لدى رجال آخرين، أننا نقبل مثل هذه الدعوات بوصفها خضوعًا من طرف واحد من غير أي انفعال. فالمعنيّات نساء، لا رجال. ونفهمها كما عُلّمناها، وكما نشأنا نحن أنفسنا في كنائسنا، وجزئيًا في المجتمع أيضًا. وهذا يُظهر للأسف ميل قلوبنا.

لماذا لا ننتبه حين تُقيَّد النساء في الظاهر، فنسأل كيف يجب أن تُفهم المواضع الكتابية المعنيّة؟ إننا نرضى بسهولة أكبر بما كنّا سنشكّك فيه لو كان يخصّنا نحن. فلندع قلوبنا تتغيّر، ولنذهب إلى مدرسة يسوع وبولس.

14 ليس ذكر وأنثى

كثيرًا ما يُستشهد بغلاطية 3: 28 حين يتعلّق الأمر بأدوار الجنسين:

[غلاطية 3: 26-28] لأنكم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.

ليس يهوديّ ولا يونانيّ، ليس عبد ولا حرّ، ليس ذكر وأنثى (لا ذكورة ولا أنوثة)؛ لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع.

كثيرًا ما أسمع أن بولس يتكلّم هنا عن الخلاص، المفتوح من غير فرق لكل الفئات القومية والدينية المذكورة هنا، وأخيرًا للجنسين كليهما. ويقولون إن الأمر يتعلّق بالكيان في المسيح، لا بحياتنا الواقعية في الخليقة الساقطة. فهناك تبقى هذه الفوارق قائمة.

لكن ماذا يتناول بولس في بداية الرسالة مباشرة؟ بطرس واليهود اعتزلوا الذين من الأمم، ليتّكئوا إلى موائد منفصلة. هذه هي المشكلة التي تعالجها غلاطية 3: 28. أي مشكلة كنسية عملية تمامًا، تريد هذه الآية أن تحلّها.

صحيح أننا نبقى ما نحن عليه، لكن يُضاف إلى الجميع شيء أعظم مما نحن عليه بحسب العرق أو الطبقة أو الجنس: البنوّة. فبولس يتكلّم عن مقام البنوّة في العالم القديم. وهذا المقام يتضمّن امتيازات وكرامة، وحقوقًا وميراثًا. ولم يكن ذلك يسري على البنات. أما بنوّة الله فيمنحها للمؤمنين، رجالًا ونساءً!

في اليهودية كان الخلاص، وما فُهم منه في العهد القديم، متاحًا من قبل للفئات المذكورة هنا. فاليوناني كان يُقبل دخيلًا، بشرط الختان. وكان هناك أحرار وعبيد، كما كان رجال ونساء، في شعب إسرائيل. فلم يكن بولس ليقول شيئًا جديدًا كثيرًا. وهذا التفسير من زاوية الخلاص ليس خاطئًا، لكنه ليس كل شيء.

الأمر يتعلّق بأكثر من ذلك، أي بصورة الإنسان. ففي جوهرها تقول هذه الآية 28 إن كل البشر على صورة الله، ولهم جميعًا الكرامة نفسها، ولهم بوصفهم خطاة المشكلة نفسها: إنهم يحتاجون إلى المسيح، وهم ينالون المسيح. ويمكن أن تُستكمل الأزواج الثلاثة: الشيوخ والشباب، الفقراء والأغنياء، الأقوياء والضعفاء، الأولاد والوالدون، ذوو

الإعاقة وغيرهم، الطاهرون والنجسون طقسيًا. وعند أهل غلاطية يأتي في المقام الأول، وهذا مفهوم، أن اليهود والأمم صاروا الآن في عائلة المسيّا كلّهم متساوين وكلّهم واحدًا. فالجميع أبناء الله. وفي الكنيسة نلقى كل واحد بوصفه ابنًا لله. وكل الفوارق الأخرى التي لا تزال قائمة تتراجع إلى الخلف، ولا تعود تحدّد تصرّفنا وكلامنا بعضنا مع بعض.

يذكر بولس هذه الفئات الثلاث لأنها في العالم غير المفتدى في توتّر بعضها مع بعض. وفي الكنيسة لا يجوز أن تكون هذه الفوارق سببًا للنزاعات. فاليهود كانوا يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وكانوا ينظرون إلى الأمم من علٍ. فمن غير ختان لم يكن يمكنهم أن ينتموا إلى شعب الله. والعبيد كانوا ملكًا يُستغلّ. لم تكن لهم قيمة، ولا صوت، ولا حقوق. والنساء في ذلك الزمن كنّ أيضًا ملكًا، وأدنى قيمة من الرجل. وهنّ أيضًا لم يكن لهنّ صوت، وكانت حقوقهنّ قليلة. أما في المسيح فنلقى الآن بعضنا بعضًا كما أراد الله دائمًا. فالجميع يصيرون بالمعمودية والإيمان معترفين بالمسيح. وكل الفوارق الاجتماعية والعرقية والهرمية قد انتهت في المسيح. وفي الكنيسة لم يعد هناك إلا إخوة وأخوات. وهناك لا يجوز لهذه الفوارق أن تؤدّي دورًا بعد تحت عيني الله. وإن كان للنساء والرجال الكرامة نفسها، فإن كليهما يستطيع أن يمارس كل الخدمات الموجودة في الكنيسة. وهذا استنتاج منطقي، وإن كانت هذه الآية لا تتكلّم عن الخدمات.

يستعيد بولس هنا عبارة «ذكرًا وأنثى» من التكوين 1: 27. وهو لا يدعو إلى نوع من الوجود المحايد جنسيًا. بل يصرّ في 1 كورنثوس 11 على أن النساء، حين يصلّين أو يتكلّمن نبويًا في العبادة، ينبغي أن يظهرن ظهورًا منظورًا بوصفهنّ نساء، وأن الرجال ينبغي أن يُرَوا بوصفهم رجالًا؛ وربما عرف بولس جوانب مختلفة من الثقافات الوثنية وممارسات العبادة فيها، كان الجنس فيها يُخفى عمدًا أو حتى يُمحى، لكن ليس هذا هو المقصود هنا.

نظام الخليقة ونظام الخلاص لا يمكن أن يتناقضا. فنظام الخلاص يعيد نظام الخليقة الأصلي الذي أراده الله. وفيه الرجل والمرأة متساويان في المرتبة. والإنجيل له آثار شافية. أولًا في الكنيسة، أي بين المؤمنين. إنها تغييرات إيجابية جذرية. إنه قوة للخلاص، تستطيع أن تحلّ بنى خاطئة عمرها آلاف السنين، وأن تغيّر ثقافات وأممًا بأكملها وتخلّصها. وفي النهاية يعود إلغاء العبودية، وديمقراطيتنا، وحقوقنا القائمة على الحرية، والمساواة بين الجنسين في الحقوق، إلى هذه الكلمة التي قالها بولس أيضًا.

فقد أظهرت أثرها في المجتمع على مدى زمن طويل. ولا ينبغي للكنيسة أن تتخلّف عن ذلك في ما يتعلّق بأدوار الرجال والنساء.

ومع أن هذه الآية لا تتكلّم عن هذه الأدوار، فلا يمكن القول إنه لا توجد أي صلة. فهذه الآية أساس تكون عليه الأخوات حرّات في أن يمارسن، من غير فرق ومن غير خضوع من طرف واحد، كل خدمة هنّ موهوبات لها أو مؤهَّلات. ولهذا لا حاجة إلى نظام حصص، بل إلى تعامل متواضع حكيم بعضنا مع بعض.

يجب أن تُنقش غلاطية 3: 28 في القلوب. فالله لا ينظر إلى الوجوه بأحكام مسبقة، فلا ينبغي أن نفعل ذلك نحن أيضًا (رومية 2: 11؛ يعقوب 2: 1).

15 اعترافنا بذنبنا

«إخوة رجال أشدّاء» – ما معنى ذلك؟ في 1 كورنثوس 16: 13 يدعو بولس الأخوات والإخوة إلى أن يكونوا رجالًا، أشدّاء، أقوياء. وهذا ليس نقيض الأنوثة، بل نقيض السلوك الخائف. وأريد أن أفسّر الشدّة الرجولية هنا هكذا: علينا نحن الرجال أن نكون رجالًا أشدّاء بأن نجرؤ على أن ننطق باعتراف بالذنب تجاه أخواتنا في المسيح، طال انتظاره وتأخّر كثيرًا، وأن نُتبعه بأفعال توافقه. لقد ادّعينا نحن الرجال لأنفسنا سلطة التفسير، ومعها سلطة الفعل، التي بها أقصينا النساء عن خدمات في الكنيسة.

ظننّا أننا نقدّم لله خدمة، فإذا بنا نُحدث العكس!

يا الله، يا يهوه إلوهيم، خالق الرجل والمرأة، اغفر لنا أننا فكّرنا وطالبنا وتصرّفنا كأن الأخوات لسن مساويات لنا في المرتبة، بل أدنى منّا مرتبة. لسن شريكات يقفن قبالتنا، بل درجة تحتنا.

أيها الرب يسوع، اغفر لنا أننا ظننّا أن النساء يجب أن يصمتن وأن يتراجعن عن الحياة العامّة.

اغفر لنا أننا ظننّا أنك لا تريد أن يُعلنّك ويُعلنّ حقّك علانية.

أيتها الأخوات العزيزات، اغفرن لنا هذا الموقف الخاطئ، الذي ظننّا أنه إلهيّ وكتابيّ! اغفرن لنا أننا في بعض المواقف حمّلناكنّ من غير حقّ ضميرًا مثقلًا.

اغفرن لنا أننا تباحثنا في أمور ومسائل مهمّة وقرّرنا فيها من دونكنّ. لم نطلب مشورتكنّ!

لقد أخفقنا نحن الرجال. كنّا كثيرًا، ومن غير أن ننتبه، متعالمين أنانيين متسلّطين. عميانًا عن أنفسنا. عميانًا عنكنّ أيتها النساء، وعن دعواتكنّ ومواهبكنّ.

اغفرن لنا حيث كنّا جبناء، فقدّمناكنّ إلى الأمام واتّكلنا عليكنّ، حيث كان علينا أن نقف وقفة الرجال ونتقدّم، وكنتنّ تنتظرن ذلك منّا عن حقّ.

اغفرن لنا لامبالاتنا بما كان صعبًا عليكنّ، وبما لم تفهمنه قطّ. لم نسألكنّ قطّ كيف حالكنّ مع ذلك. اغفرن لنا أننا لم نسألكنّ عن شعوركنّ إزاء هذه المواقف والتعاليم التمييزية.

نحن آسفون. لقد أخطأنا.

كنّ حرّات! اخدمن الرب بفرح!

سنسندكنّ – كما سندتمونا أنتنّ دائمًا، على الرغم من كل ما فعلناه.

16 في الختام

كثير من المسيحيين الذين يرون في الكتاب المقدس المقياس الوحيد قد حسموا «مسألة المرأة» منذ زمن طويل، وفتحوا الطريق للأخوات. وفي حياتي جاءت هذه المعرفة متأخّرة جدًا للأسف. وهكذا فإن هذا الكتاب أيضًا قد تجاوزه الزمن في الحقيقة، لأنه كان ينبغي منذ زمن طويل أن يُدرك بوضوح أننا لا نستطيع أن نستغني عن خدمة الأخوات في كل مجالات حياة الكنيسة. نحن الرجال لا نضرّ إلا أنفسنا حين نتمسّك بنظرة هرمية إلى الرجل والمرأة. لكن لم يفت الأوان قطّ على تغيير القناعات.

لقد حُسمت المسائل التي يعالجها هذا الكتاب منذ زمن طويل في أماكن كثيرة، وأنا آتي متأخّرًا في الركب. فالمعركة قد حُسمت منذ زمن. وآخرون قاتلوا على هذه الجبهة في السنوات الثلاثين الأخيرة. ومن أعمالهم اللاهوتية استفدت كثيرًا جدًا.

تقترب من الكنيسة موضوعات أعمق بكثير. موضوعات تُربك مسألة الجنسين إرباكًا شديدًا، مطروحة اليوم على جدول الأعمال، وتُدفع بقوّة إلى وعي المجتمع، مثل التحوّل الجنسي. وعلينا بوصفنا مسيحيين في مجتمعنا أن تكون لدينا أجوبة عن ذلك. وعلينا نحن المسيحيين أن نرفع عاليًا أن فكرة الله في جنسين اثنين فكرة عبقرية، ويجب الدفاع عنها. لكن إن بقينا نتكلّم عمّا إذا كان يجوز للنساء أن يتكلّمن ويعلّمن في الكنيسة، فسنفقد نهائيًا كل أهمّية، ولن يُؤخذ كلامنا على محمل الجدّ في الموضوعات الراهنة حقًّا، ولن يُسمع لنا.

ومن هذه الموضوعات الراهنة ما بعد الإنسانية، التي تعرّف الإنسان تعريفًا مختلفًا تمامًا عمّا يفعله الكتاب المقدس – والأمر فيها يتعلّق بأكثر بكثير من مسألة الجنسين. فهنا يلوح أمام أعيننا برج بابل آخر، ينسجم مع صورة آخر الزمان كما يصفها لنا الكتاب المقدس.

«لنكن مسيحيين يُرون هذا العالم بحياتهم شركةً محبّة بين الرجل والمرأة في الزواج والعائلة والكنيسة. لنكن حاملي رجاء في مجتمع مرتبك فاقد للاتجاه، يبحث عن قدوات صادقة أصيلة في الأدوار. لنكن قدوات يتميّزون بالاحترام والتقدير للجنس الآخر. عندئذ، وعندئذ فقط، سيلاحظنا الناس اليوم أصلًا ويأخذوننا على محمل الجدّ.»

غابرييله زينغر (Gabriele Singer)

بوصفنا رجلًا وامرأة

نحبّ، نقود، نعلّم

أفضل معًا!

أفضل بالشراكة!

أفضل بعضنا مع بعض!



«أرى في كلمة الله أن يسوع، الذي حُبل به من امرأة من غير تدخّل رجل، لم يُسكت النساء، بل على العكس دعاهنّ إلى أن يتكلّمن. وأنه استحسن أن تجلس امرأة عند قدمي المعلّم وتتعلّم، كما جلس بولس عند قدمي غمالائيل. وأنه سمح لامرأة بأن تؤدّي له خدمة كهنوتية مهمّة، وقبل منها مسحه لدفنه. كانت النساء آخر من بقي عند الصليب وأول من جاء إلى القبر. خمس من ‹كلمات الصليب› السبع لم يشهد لها وينقلها إلا نساء (باستثناء الجنود الرومان)، وأهمّ المحطّات في تاريخ الخلاص لم يشهد لها إلا نساء. والتقى يسوع النساء عمدًا بعد قيامته، وكلّفهنّ أن يقلن لإخوته إنه قام. فماذا كان يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك ليوضّح مرة واحدة وإلى الأبد أن المساواة الكاملة للمرأة في كنيسة الله المفتداة هي قصده الأصلي الذي لا يتغيّر؟» كريستيان بيزه (Christian Beese)

كمرض لا شفاء منه، وكعشب ضارّ قديم جدًا، راسخ الجذور عميقها، يمتدّ في كل مكان، كانت نظرة الرجال المسيحيين إلى المرأة منذ البداية صدى لبيئتهم، وللأسف

لقلوبهم أيضًا. وسواء عيشت بوعي أو من غير وعي، بطريقة فظّة أو معتدلة أو حتى محبّة، فلا خيار آخر سوى الرجوع إلى الحقّ الكتابي، ومن ثَمّ الإلهي، الذي وحده يحرّر.

Hans-Jörg Ronsdorf

«ليس طريقًا سهلًا أن ننتقل من طريقة تفكير أبوية إلى طريقة تفكير منصفة للنساء. فهذا يتطلّب أن نعيد تصوّر كل ما ظننّا أننا نفهمه عن عالمنا وطريقة عمله، وعن إيماننا وعلاقتنا بالله، وبعضنا ببعض، وبكوننا. إنه تحوّل صعب كتحوّل أسلافنا من فهم للكون مركزه الأرض إلى فهم مركزه الشمس. فالعلماء الأوائل الذين اقترحوا أن الأرض تدور حول الشمس، لا العكس، حُرموا كنسيًا، لأن الناس ظنّوا أن ذلك يشكّل تهديدًا لسلطان الله. وعلى نحو مشابه يصعب جدًا أن يتحرّر المرء من نظرة أبوية إلى العالم، يُقبل فيها على أنه أمر طبيعي أن تُقاد النساء ويُهيمَن عليهنّ من قبل الرجال، وأن تنظّم الأنظمةَ والمؤسّساتِ وتديرها رجالٌ. أما النظرة إلى العالم القائمة على المساواة في الحقوق، النظرة المساواتية، فهي نظرة ترى النساء والرجال في علاقة متبادلة، يتقاسمون السلطة، ويعرفون مواهب بعضهم بعضًا، ويشجّعونها ويطلقونها. ويلقى بعضهم بعضًا باحترام متساوٍ وكرامة متساوية.» باربرا ريد (Barbara Reid)

«من استحوذ عليه روح الإنجيل، سيتّفق على أن فهمًا أبويًا للأدوار، يفرض الوصاية على النساء ويشلّهنّ عن خدمة ملكوت الله، ليس ظلمًا فحسب، بل جلب على كنيسة الله ضررًا لا يوصف. وإن لم يحدث ذلك قطّ لدوافع دنيئة، بروح الصراع على السلطة، أو بقصد الإذلال، بل كثيرًا جدًا بسبب سوء فهم مأساوي للكتاب المقدس، فقد آن الأوان الآن أن نسائل بشجاعة التقاليد المهينة، وأن نبتعد عنها، لكي تستطيع النساء أيضًا أن يضعن أقدامهنّ ‹في رحب›، وأن يختبرن أخيرًا بشكر الفداء الكامل الذي اقتناه يسوع المسيح.» هارتموت كروغر (Hartmut Krüger)

إن تجاهل الخلفية الثقافية للنصوص الكتابية لا يؤدّي إلى التمسّك بنصّها الحرفي، بل إلى أن يصير النصّ الكتابي كثيرًا، إن لم يكن في الغالب، شاشة تُسقط عليها القناعات الثقافية الخاصة بالحاضر الذي نعيشه. فما أُعلن لكثير من الإنجيليين حقيقةً كتابية أزلية هو في الحقيقة نتاج القرنين التاسع عشر والعشرين. لذلك فإن الدفاع عن المساواة في حقوق النساء في الخدمة الكنسية لا يتبع روح العصر الراهنة، روح النسوية، لأن الأمر هناك يتعلّق منذ زمن بمطالب أبعد بكثير. فهناك يتعلّق الأمر بتبادل الأدوار كما كانت قائمة حتى القرن العشرين، أو بإلغاء الجنس كليًا. كيف يتعلّم

المرء أن يدير ولو نقاشًا جادًّا بين مواقف مختلفة في المسائل الخلافية، إن كان قد تمرّن عقودًا، وكافح لأجل ذلك، على فرض اعترافات أو قناعات عقائدية؟

تورستن ديتس (Thorsten Dietz)

17 كتب أخرى للمؤلّف

صدرت هذه الكتب كلّها باللغة الألمانية:

Und die Toten leben doch (ومع ذلك فالأموات أحياء)، بيليفيلد، 1992

Seitenwechsel – Von Adam zu Christus (تغيير الجانب – من آدم إلى المسيح)، بيليفيلد، 2011

Entrückung, Himmel, Ewigkeit – Ein neuer Blick auf alte Themen (الاختطاف – السماء – الأبدية – نظرة جديدة إلى موضوعات قديمة)، نورنبرغ، 2015

Gottes Lamm, Golgota und die Ewigkeit (حمل الله – الجلجثة والأبدية)، فوبرتال، 2015

Fantastische Himmelwelt, Lehre und Leben der Himmelwelt im Epheserbrief (العالم السماوي المذهل – تعليم العالم السماوي والحياة فيه بحسب رسالة أفسس)، نورنبرغ، 2016

Gott spricht, Eine erklärende Übertragung der allgemeinen Briefe und der Offenbarung (الله يتكلم – نقل شارح للرسائل الجامعة وسفر الرؤيا)، زولتسبرغ، 2017

Epheser, nacherzählt, erklärt für heute (رسالة بولس إلى أهل أفسس – إعادة سرد، شرح، لأيامنا)، زولتسبرغ، 2018

Gods good Gospel, Gottes gutes Evangelium (إنجيل الله الصالح)، زولتسبرغ، 2019

Markus, nacherzählt, erklärt für heute (الإنجيل بحسب مرقس – إعادة سرد، شرح، لأيامنا)، زولتسبرغ، 2019

Galater, nacherzählt, erklärt für heute (رسالة بولس إلى أهل غلاطية – إعادة سرد، شرح، لأيامنا)، زولتسبرغ، 2020

Die Briefe des Johannes, nacherzählt, erklärt für heute (رسائل يوحنا – إعادة سرد، شرح، لأيامنا)، زولتسبرغ، 2020

Frauen, vergebt uns! – Die Rolle von Frau und Mann (أيتها النساء، سامحننا! – عن دور المرأة والرجل)، زولتسبرغ، 2020

Ein König voller Pracht – Die gute Botschaft von Jesus, dem Messias (ملكٌ مليءٌ بالبهاء – الخبر السارّ عن يسوع المسيّا)، أوغسبورغ، 2022